روافد المعرفة
2030
مشاريع البادرة الأولى
FIRST INITIATIVE PROJECTS
استرجع قلبك
للكاتبة : ياسمين مجاهد
المصممة : نجيلة ادم
مؤسس المشروع : د .طلال المالكي
رئيسة المشروع :سهام الشريف
نائبةرئيسة المشروع : دعاء بامردوف
نائبة رئيسة المشروع شهد ياسين

رئيس لجنة الدراسات : إبراهيم عبد العزيز المعثم .
نائبة رئيس لجنة الدراسات : تهاني احمد بنتن .
مشرفة لجنة التلخيص الشهري : صباح فهد عجيمي .
رئيسة لجنة الكتابة : وديان سعد اللقماني .
نائبة رئيسة لجنة الكتابة : شروق عارف الشريف .
رئيسة لجنة تقنية المعلومات : أمواج محمد نوح .
رئيسة لجنة التصميم و التنسيق : مروج القرماني .
رئيسة لجنة التدقيق و مراجعة الروايات : اثير العميري .
رئيس لجنة العلاقات العامة : محمد راجح القحطاني .
نائبة رئيس لجنة العلاقات العامة : تنسيم الحكمي .
نائبة رئيس لجنة العلاقات العامة : شيماء العرفج .

المصممة : نجيلة ادم

اسماء الملخصين..

الملخصة :عالية سيت .

تدقيق املائي ونحوي: أثير خلف العمري

تنسيق الكتاب واخراجه : نجيلة ادم

المصممة : نجيلة ادم

استرجع قلبك

ياسمين مجاهد

نبذة مختارة من تعليقات القراء وإطرائهم

منذ سنة قرر خطيبي التخلي عني،كنت محطمة ومذهولة وحزينة وقلقة ؛ومع ذلك فاني أحمد اللّه تعالى ،لأن الحالة التي كنت عليها هي التي قادتني لكتابك.لقد كانت السنة الماضية بالنسبة لي سنة في غاية الاضطراب العاطفي ، وفي الوقت نفسه مرحلة تعلم ممتازة جعلت قلبي يتماثل بالشفاء. تعلمت أن اللّه وحده يجب أن يكون وحده في القلب ومادون ذالك هبات مكانها الصحيح في اليد

منذ ٣ أسابيع توفي والدي رحمه اللّه أول ما تبادر إلى ذهني هو إنا للّه وإنا إليه راجعون لقد عاد والدي إلى موطنه إن شاء اللّه .بدلا من أحزن وجدت نفي أني ممتنة لان اللّه أختاره ليكون أبا لي،وسمح لي أن أكون معه طول هذه المدة أريد أن أشكرك من أعماق قلبي ،لأني لو لم أقرأ كتابك لما كنت الشخص الذي عليه اليوم

ألاء

أريد أن أبلغك امتناني لتغير حياتي كليا ،بارك اللّه فيك كنت أمر بفترة مليئة بالظلمة والكآبة والخواء والسلبية ،بعدها عثرت لي مقالاتك متنورة أنا الآن الحمد للّه،شكرا لك

مريم

قد من اللّه عليك بالقدرة إلى النفاذ إلى القلوب وهزها ، وجعلها تبدأ بالعمل كما ينبغي
، فحمد للّه على أناس مثل ياسمين مجاهد

غازي أ

عسى أن يكافئك اللّه جنة الفردوس، لا يمكن أن أصف أن وجودك نعمة يا أختي ،دخولك لحياتي من خلال كتاباتك يقوي إيماني يوما بد يوم الحمد للّه ،بل إن كتاباتك تلهم الكثير، لقد استجاب اللّه دعائك حقا حين دعوت اللّه أن تستخدمي أداة لهداية الناس

هجيرة م.

مقدمة الملخص

استرجع قلبك دليل لكل شخص فقد وجهته أمام منعطفات ومغارات الحياة

ويسعى إلى استرجاع الوجهة الصحيحة

الفهرست

المتعلقات .....

لماذا يتحتم على الناس الفراق؟.....

الناس يغادرون ، ولكن هل سيعودون؟.....

عن ملء الفراغ الداخلي والرجوع إلى الوطن.....

إفراغ الإناء.....

من أجل حب الهدية.....

أمان على سطح.....

محيط الدنيا.....

استرجع قلبك.....

الحب.....

الهروب من أسوأ سجن.....

هل ما أشعر به حب؟.....

الحب في الهواء.....

هذا هو الحب.....

أحب ما هو حقيقي.....

الزواج الناجح: الحلقة المفقودة.....

المصاعب.....

الملاذ الوحيد من

العاصفة.....

رؤية منزلك في الجنة: عند طلب العون

الإلهي.....

الأذى من الآخرين: كيف نحتله

ونشفى.....

حلم

الحياة.....

...

أبواب مؤصدة والأوهام التي

تعمينا.....

الألم، والفقدان والطريق إلى

الله.....

كيفية تجاوب المؤمن مع

الشدائد.....

هذه الحياة: سجن أم

فردوس.....

العلاقة مع الخالق.....

الصلاة: غرض الحياة

المنسي.....

محادثة

مقدسة.....

.....

الساعة الأشد ظلمة وقدوم

الفجر.....

اليوم دفنا رجلا: تأمل في

الموت.....

لماذا لا تستجاب

دعواتي؟.....

فيس بوك: الخطر

الخفي.....

الشعور بالليقظة.....

....

مكانة المرأة.....

تمكين المرأة.....

.....

رسالة إلى الثقافة التي ربتني.....

خاطرة امرأة عن إمامة الصلاة.....

الرجولة ومظهر القسوة.....

الأمة.....

ألق عنك

المسميات.....

....

كن مسلما

باعتدال.....

...

المأساة التي يصعب وصفها وحالة

أمتنا.....

انشقاق البحر

الأحمر.....

شعر.....

رسالة

لك.....

أنا

أحزن.....

.....

خواطري

فقط.....

تأمل عن

الحب.....

دعوت اليوم من أجل

السلام.....

عن معاناة

الحياة.....

السكون.....

.

موتوا قبل أن

تموتوا.....

أنقذني.....

...

قلبي كتاب

مفتوح.....

الطعنة.....

.

مشكاة.....

.

واصل السير.....

المتعلقات

لماذا يتحتم على الناس الفراق؟

عندما كنت في السابعة عشرة من عمري رأيت حلما،حلمت أني جالسة في مسجد وإذا بفتاة صغيرة تتجه نحوي موجهة سؤالا،لماذا يتحتم على الناس الفراق؟ كان سؤال ذا طابع شخصي،ولكن كان واضحا لي بالنسبة لي-لماذا تم اختيار هذا السؤال لتوجيهه إلي.

كنت شديدة التعلق!

كنت شديدة التعلق بمن حولي منذ طفولتي،وكانت هذي الصفة متجلية في شخصيتي،فعندما كان الأطفال
يتكيفون بسرعة بعد مغادرة ذويهم ،لم أتمكن أنا من ذلك ،كانت عيناي تذرفان الدموع،ويصعب عليها التوقف،وعندما كبرت اعتدت على التعلق بكل ما حولي لم تكن لدي القدرة على التخلي عن أي شئ تعلقت

به ؛ الأشخاص ،الأماكن ، والأحداث والصور،واللحظات ،حتى النتائج أصبحت مواضيع تستحق التعلق بها

إذا لم تسر الأمور على ما يرام أو كما كنت أتوقع، كنت أصاب بإحباط شديد.الإحباط الذي كان يصيبني لم يكن شعورا عاديا بل كارثيا ، كان من المستحيل علي استعادة عافيتي ،واستحال علي النسيان واندمال الجرح الحاصل، كان حالي أشبه بزهرية وضعت على حافة طاولة فسقطت وتحطمت،وما كان بالإمكان إعادة قطعها إلى ما كانت عليه.

فالمشكلة لا تكمن في الزهرية، ولكنها تكمن في من وضعها على حافة كنت ، كنت معتمدة الطاولة،وجعلها عرضة للسقوط وهذا بالضبط ما كنت افعله على علاقاتي لإشباع حاجاتي،وسمحت لتلك العلاقات أن تحدد أحزاني. وأفراحي،واكتفائي وفراغي،وأمني ،حتى تقديري لذاتي.فكنت مثل الزهرية التي وضعت في مكان ستسقط منه حتما،مآلها الانكسار الذي لا يجبر.

إن تعلقي الشديد جعلني أهيئ نفسي للإصابة بالإحباط،وأهيئ نفسي للانكسار حصل فعلا:؛ خيبة أمل،وانكسار تلو انكسار. وهذا ما

من تسبب في كسري لا يلام كما لا تلام الجاذبية التي أدت إلى سقوط الزهرية؛لا يمكن أن نلوم قوانين الفيزياء عندما يكسر غصين اتكأنا عليه ليدعمنا،وهو لم يخلق لذالك.

فأعباؤنا لن يعيننا على حملها إلا اللّه ، كما قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن باللّه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها واللّه سميع عليم).

تتضمن الآية درسا بليغا:هناك عروة واحدة هي الدائمة ، وهناك مصدر واحد يمكننا الاعتماد عليه، وهناك صلة واحدة تحدد قيمتنا،ومصدر واحد لتحقيق السعادة الكاملة والاكتفاء والأمان. تلك الصلة وذلك المصدر هو اللّه.لطالما انشغلت البشرية في طرق عن إشباع تلك الاحتياجات والحرص على نيلها ، بعضنا يطلبها في مهنته، والبعض الآخر يبحث عنها في الغنى ،زمنهم من يراها في المكانة ،وآخرون مثلي يرونها في العلاقات.

في كتابها المعنون (طعام ،صلاة، حب)تصف إليزابيث جلبيرت رحلتها في بحثها عن السعادة وتصور تنقلها من علاقة إلى أخرى،فضلا عن السفر حول العالم لملئ فراغها الروحي،والقيام بالتأمل ،بل وحتى عن طريق تناول الطعام،ولكنها لم توفق بالحصول على بغيتها

هذا بالضبط ما كنت أقضي فيه معظم حياتي ،باحثة عن وسيلة لملئ فراغي الداخلي .

كنت أسأله لنفسي ،وفي حقيقة الأمر كان سؤال البنت الصغيرة لي هو ما كان السؤال عن طبيعة الدنيا وما جبلت عليه،فهي لحظات عابرة وعلاقات مؤقتة،ومكان يكون الناس معك اليوم وغدا يموتون و يفارقون، هذه الحقيقة مؤلمة جدا لأنها تبدو مناقضة لطبيعتنا.نحن بشر جبلنا على يتصف بالكمال والأبدية. نتوق إلى تلك الأشياء البحث والتعلق على كل ما لأننا لم نخلق لهذه الحياة الفانية،فمسكننا الأول والحقيقي هو الجنة،المكان الذي يجمع بين الكمال و الخلود.فالحنين إلا تلك الأبدية الكاملة جزء من

كينونتنا ،ولكم المعضلة تكمن في محاولتنا الحصول عليها هنا في هذه الدنيا الفانية،فترانا نقوم بصنع عقاقير لإدامة الشباب ،ونجري عمليات تجميل في محاولة بائسة للبقاء.وفي محاولة دائمة لإعادة تشكيل العالم،وتحقيق مالا يمكن تحقيقه

فإذا عشنا في هذه الدنيا بقلوبنا وعواطفنا حتما ستكسرنا،ولهذا كانت الدنيا مؤلمة بالنسبة لنا ،والسبب في ذلك وصفها دار فانية ولا تتسم بالكمال –تعارض تماما كل شئ جبلنا على السعي عليه.هذا التوقان الذي أودعه اللّه قلوبنا لن ينطفئ إلا بما هو كامل وخالد. وبالتالي فان بحثنا على طريقة لإطفائه فيما هو غير كامل ومعرض للفناء ، أشبه بالجري خلف سراب، أو الحفر في أرض قاسية بأيد مجردة.فالساعي إلى تحويل ما هو فان بطبيعته إلى أبدي،كالساعي لاستخلاص الماء من النار،لاشك أنه سيحترق! فقط عندما نتوقف عن وضع أمالنا في الدنيا،عندها ستتوقف الحياة عن كسر قلوبنا وإصابتنا بخيبة الأمل .يتوجب علينا أن ندرك أنه لا شئ يحدث دون هدف!حتى خيبات الأمل وانكسار القلوب،بل وحتى الألم!ذلك القلب الكسور وذلك الأمل هما دروس وعبر لنا،تحذير بان هناك شئ ما ليس على ما يرام،وان هناك ما يستدعي قيامنا بالتغير فكما أن ا لم الحرق يجعلنا نبتعد عن النار،فان الألم النفسي هو إشارة بضرورة القيام بتغير داخلي.نحن بحاجة إلى فك الارتباط،والألم هو شكل من إشكال فك الارتباط الإجباري ،مثل انفصالنا عن حبيب أو قريب أو اعتاد إلى إيلامنا مرة تلو الأخرى، فكلما ألمتنا الدنيا،ابتعدنا عنها وتوقفنا عن حبها .

الألم هو عبارة عن تعلقنا بما هو غير حقيقي ومزيف. وبما هو مصدر للحزن والمعاناة، وكل ما نتعلق به من أمور يتحول نهاية المطاف تتحول إلى عوائق تعترض طريقنا إلى الله. الألم يوجد حالة في حيانا نسعى إلى تغييرها ، وبالتالي إذا كان هناك أي شئ لا يعجبنا وأردنا القيام بتغييره، فهناك عادلة الإلهية في قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(الرعد :١١)

إن ما أدركته بعمق وبعد سنين من السقوط في روتين وخيبه الأمل وانكسار القلب،هو فهمي الحقيقي لمعنى حب الدنيا الذي كنت أظنه مجرد التعلق بالماديات، وبما إنني لم أكن متعلقة بماديات بل كنت متعلقة بأناس،ولحظات ، وبمشاعر ،فقد توهمت أنني ممن لم تشغلهم الدنيا بحبها وأني قد نجوت من هذا الداء ،ولكن ما لم أكن أدركه أن الناس واللحظات والمشاعر هي أجزاء من هذه الدنيا ، وأن ما أصابني من ألم في حياتي ،مصدر شئ واحد هو حب الدنيا.

بإدراكي هذه الحقيقة ،سرعان ما رفعت الغشاوة عن عيني، وعرفت ماهية مشكلتي، وهي أني كنت أوقع من الحياة أن تكون كاملة! وكوني مثالية كنت أحاول ، بكل خلية من جسمي ،أن أجعلها كلك كاملة!ولم أكن لأتوقف حتى تصبح كما كنت أريدها.بذلت دمي وعرقي ودموعي لأجل هذا المسعى لتحويل الدنيا إلى جنة

كنت أتوقع أن يتصف اللذين من حولي بالكمال ،وكنت أتوقع أن تكون علاقاتي كاملة ، توقعات ، وتوقعات إذا كانت هناك وصفة واحدة للتعاسة فهي : التوقعات و لكن هنا ممكن الخطأ بالنسبة لي خطتي لم يكن فيما لدي من توقعات ، فنحن –

بني البشر – ينبغي لنا ألا نفقد الأمل ، ولكن الخطأ الفادح يكمن في المكان الذي وضعت فيه تلك التوقعات وذلك الأمل، فأنا في حقيقة الأمر ، لم أكن أضع أملي وتوقعاتي في اللّه سبحانه ، بل وضعتها في الناس والعلاقات والوسائل ،فكان أملي في هذه الدنيا وليس في اللّه .

ومن ثم توصلت إلى إدراك حقيقة عميقة من آية بدأت تتردد في ذهني ، آية سمعتها من قبل ،لكنني لأول مرة أدرك أنها تصفني (إن الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون) (يونس:٧) .

لكن ماذا يعني أن تضع أملك في الدنيا ؟ وكيف يمكنك اجتناب ذلك ؟ معنى هذا ، أنه عندما يكون لك الأصدقاء، لا تتوقع من أصدقائك هؤلاء أن يملئوا فراغك الروحي ، وعندما تتزوج ، لا تتوقع من شريك حياتك أن يلبي جميع احتياجاتك ، وعندما تكون ناشطا ، لا تضع أملك في النتائج ، وعندما تكون ناشطا ، و عندما تواجهك مشكلة ، على نفسك أو الآخرين |،اتكل على اللّه وحده .

التمس المساعدة من الآخرين ، ولكن كن واثقا بأن الحفظ والسلامة لا يكونان منك ، ولا من الآخرين ، ولكن من اللّه وحده . الناس أدوات و أسباب يسخرها اللّه ، لكنهم ليسو مصدر النجدة والعون والنجاة ، مصدر ذلك كله هو اللّه ، فالناس عاجزون حتى عن خلق جناح ذبابة (الحج:٧٣) فاجعل قلبك متوجها إلى اللّه في جميع معاملاتك مع الناس، كما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام (إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض حنيفا وما كان من المشركين) (الأنعام:٧٩)،

ولكن كيف يصف إبراهيم عليه السلام رحلته للوصول إلى تلك الحالة من التسليم الكامل لله سبحانه ؟ بمراقبة القمر والشمس والنجوم ، أدرك أنها لا تتصف بالكمال و أنها تأفل ، وبالتالي فهي مخلوقات تصيبنا بالإحباط و خيبة الأمل ، ولهذا اتجه إبراهيم عليه السلام إلى الله عز وجل وحده ، الدائم الباقي ، المتصف بالكمال ، مثل إبراهيم عليه السلام ، يتوجب علينا أن نضع أملنا وثقتنا ، وتوكلنا الكامل على الله سبحانه ، و إذا فعلنا ذلك فسوف نعلم حقا السكينة واطمئنان القلب ، و سيخفى طابع الفوضى و الضياع ، الذي كان يسود حياتنا سابقا.السبب في ذلك يكمن في أن اعتماد حالتنا الروحية على شئ غير ثابت ،سيجعلها غير ثابتة . كل ما سبق يعني أننا سنكون في لحظة سعداء ،وسرعان ما تتبدد تلك السعادة عندما تفقد مصدر السعادة ذلك، فيصيبنا الحزن ،ويجعلنا في تأرجح دائم بين السعادة والشقاء ،دون أن ندرك السبب .

في قول أبي بكر تصوير عميق لهذه الحقيقة : بعد موت رسول الله صعق الناس وصعب عليهم تقبل الخبر ، ومع أنه لم يكن هناك من يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أبي بكر،فقد كان موقنا كل اليقين بأن اعتماده يكمن في مصدر واحد،هو الله الباقي ،فلذلك كان قوله: (من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات،ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) .

ولن تبلغ هذه الدرجة من اليقين إلا إذا كان مصدر سعادتك هو علاقتك بالله. فلا تجعل تعريفك للنجاح والفشل ،أو تقديرك لذاتك، شيئا غير مكانتك عند الله (الحجرات:١٣) و إذا فعلت ذالك فستكون غير قابل للتحطم ! ولن يغلبك أحد ؛

لان داعمك لا غالب له! ولن تصبح خاويا ؛ لان مصدر امتلائك لا ينتهي ولا ينضب

.

عندما أتذكر منامي وأنا في السابعة عشرة أتساءل إن كنت تلك البنت الصغيرة هي أنا؟ أتساءل ،لان ما أجبتها به كان درسا لي، كان جوابي عن سؤالها- لماذا يتحتم على الناس الفراق ؟ -هو: "لان الحياة الدنيا ليست كاملة،لأنها إذا كانت كذلك ، فبم سنسمي الآخرة؟ " .

الناس يغادرون، هل سيعودون ؟ الفراق صعب! الفقدان أصعب ! قبل أسابيع قليلة سألت السؤال : لماذا يتحتم على الناس الفراق ؟

الجواب أخذني إلى أعمق الأعماق التي أدركتها ، وأشد الصراعات التي مرت علي في حياتي . كما قادتني الإجابة إلى أيضا إلى التساؤل : بعد المغادرة هل سيعودون ؟بعدما يسلب منا شيء نحبه،هل سنسترده ؟هل الفقدان دائم، أم وسيلة فقط لهدف أسمى ؟ هل الفقدان هو النهاية ذاتها،أم علاج وقتي لعلل قلوبنا؟

هناك شيء مذهل في هذه الحياة،فالسمة الدنيوية التي تسبب لنا الألم هي نفسها أيضا التي تعطينا الراحة، لا شيء هنا أبدي.ماذا يعني هذا؟ إن شبابي سيخذلني.ولكن ذلك يعني أيضا أن الحزن الذي أشعر به اليوم سيتغير غدا، ألمي سيتلاشى ،ضحكتي لن تدوم إلى الأبد، ودموعي كذلك.

اللّه المجيد أخبرنا في آية بليغة جدا : ﴿فان مع العسر يسرا﴾ (الشرح:٥).عندما كبرت أدركت فهمي لهذه الآية كان خاطئا.اعتدت أن أظن أنها تعني :بعد العسر يأتي اليسر. وأن الأوقات السيئة والأوقات الحسنة يعقب بعضها بعضا.ولكن ليس هذا

ما تذكره الآية؛ الآية تقول اليسر يأتي في وقت العسر نفسه؛ هذا يعني أن لا شيء في هذه الحياة كله سيئ تماما أو كله حسن . في كل وضع سيئ يكون هناك دائما شيء يستوجب الشكر. مع الشدائد، يعطينا اللّه سبحانه وتعالى أيضا القوة والصبر لتحملها.

إذا تأملنا الأوقات الصعبة في حياتنا فسنرى أنها كذلك ملئت بخير كثير. السؤال هو :مالذي نختار التركيز عليه؟أرى أن الفخ الذي نقع. فيه متجذر في اعتقادنا الزائف بإمكانية كمال هذه الحياة .حسنة تماما أم سيئة تماما، لكن ليست هذه طبيعة الدنيا، فهذه طبيعة الآخرة. جعلت الآخرة لكمال الأشياء،فالجنة كاملة الحسن تماما ،وليس فيها سوء،وفي المقابل جهنم(أعاذنا اللّه منها) كاملة السوء تماما،ولا حسن فيها.

بفهمي الخاطئ لهذه الحقيقة أصبحت غارقة في الظروف الآتية لحياتي(سواء أكانت حسنة أم سيئة)،تعاملت مع كل موقف بشدة، كما لو كان نهائيا أم أبديا، والطريقة التي كنت أشعر بها في تلك اللحظة غيرت العالم بأكمله وكل شيء فيه بالنسبة لي.فإذا كنت سعيدة في تلك اللحظة فان الماضي والحاضر ،والقريب والبعيد،والكون بأكمله حسن في تلك اللحظة،والشيء نفسه يحدث مع المواقف السيئة. والسبب في ذلك أن تلك اللحظة تصبح هي كوني كله،ولا أستطيع أن أرى شيء خارجها،إذا ظلمتني اليوم،فهذا يعني أنك لم لم تعد تهتم بي، وليس بسبب كون تلك اللحظة الوحيدة الذي ظلمتني فيها جزءا من سلسلة من اللحظات اللامتناهية المصبوغة بتلك الصبغة السلبية،ماكان يخالجني أو أشعر به في تلك اللحظة أصبح بديلا عن رؤيتي للعالم بأكمله.

أعتقد أن طبيعتنا التجريبية، تجعل بعضا منا شديد العرضة لهذا الأمر.ربما هذا السبب الذي يجعلنا نقع فريسة لظاهرة"لم أر منك خيرا قط" التي جاءت في حديث للرسول صلى اللّه عليه وسلم. ربما يقول بعضنا أو يشعر بهذا لأنه في تلك اللحظة فعلا ، من تجربته،لم يشعر بأي خير،لأن شعورنا يستبدل كل شيء ويحدده، بل انه يصبح كل شيء ،فالماضي والحاضر معا يختزلان في لحظة تجريبية واحدة.

لكن يقيننا التام بأنه لاشيء كامل في هذه الحياة، يحول تجربتنا في تلك اللحظة.فجأة يتوقف انهماكنا التام في تلك اللحظات،يعيننا اللّه سبحانه وتعالى على الوقوف خارج تلك اللحظات ورؤيتها على حقيقتها؛فتلك اللحظات ليست أكونا،ولا حقائق ولا الماضي والحاضر،بل ان كل واحدة منها عبارة عن لحظة عابرة في سلسة من اللحظات التي لانهاية لها.....وكل تلك اللحظات ستمر أيضا.

عندما أبكي أو أخسر أو أتألم-مادمت حية –فانه لاشيء نهائي ،مادام هناك غد أو لحظة أخرى ،فان هناك أملا ،وهناك تغير وهناك توبة ،ما فقد لم يفقد إلى الأبد.

ففي جوابي عن السؤال:هل الشيء المفقود سيعود إلينا ؟ تأملت أجمل الأمثلة:هل عاد يوسف لأبيه؟هل رجع موسى عليه السلام لوالدته؟هل عادت هاجر لإبراهيم عليه السلام؟ هل عادت الصحة والثروة والأولاد لأيوب عليه السلام؟ من هذه القصص نستقي دروسا رائعة:ما أخذه اللّه لن يضيع أبدا. في الحقيقة إن الذي عند اللّه هو الذي يبقى، وكل شيء أخر يفنى.قال اللّه تعالى(ما عندكم ينفذ و ما عند اللّه باق و لنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا

يعملون).ألم يأخذ الله سبحانه زوج ا مسلمة لكي يستبدل به محمد صلى الله عليه وسلم ؟

أحيانا يأخذ الله ليعطي،ولكن من الضروري أن نفهم أن عطاءه لا يكون دائما بالشكل الذي نريده،فهو يعلم ما هو الأفضل.يقول الله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (البقرة :٢١٦) لكن إذا كان الشيء سيرجع لنا بشكل أو بآخر ، فلماذا يؤخذ منا إذن ؟سبحان الله !إننا من عملية الفقدان نمنح.

يعطينا الله الهدايا لكن في كثير من الأحيان نعتمد على تلك الهدايا عوضا عن اعتمادنا عليه سبحانه؛عندما يعطينا المال نعتمد على المال وليس عليه سبحانه؛ وعندما يعطينا الأصحاب نعتمد على الأصحاب ؛ وعندما يعطينا المركز والسلطة نعتمد عليهما، ونغتر بتلك الأشياء ؛عندما يعطينا الله الصحة، ننخدع ونتصور أننا لن نموت أبدا.الله يعطينا الهدايا ولكننا بعد ذلك نحبها مثلما يتوجب علينا أن نحبه، هو فقط .نأخذها وندخلها في قلوبنا إلى أن تتحكم فينا.وسرعان ما نصبح غير قادرين على العيش بدونها،وتصبح كل لحظة انتباه، ضائعة بالتأمل في تلك الهدايا والخضوع لها وعبادتها.

العقل والقلب الذي خلقهم الله لله، يصبحان ملك لشخص او شيء أخر.وعندئذ يأتي الخوف من الفقدان،ذلك الخف الذي يبدأ يشلنا.الهدية التي يفترض أن تبقى في أيدينا- تمتلك قلوبنا، والخوف من فقدانها يستغرقنا،بل وسرعان ما

يصبح –ما كان مجرد هدية فقط- سلاح تعذيب، وسجنا من صنعنا. كيف نستطيع أن نتحرر من هذا؟ أحيانا برحمه الواسعة ، يحررنا الله...بأخذها بعيدة عنا .

ونتيجة لذهابها نرجع ا إلى الله بقلب منيب، فمع ذلك اليأس والحاجة نتوسل ونتضرع وندعو.من خلال الفقدان، نصل إلى مرتبة الإخلاص والتواضع والاعتماد عليه،الفقدان يجعل قلوبنا تتحول تماما لتتوجه إليه سبحانه.

ما ذا يحدث عندما تعطي طفلا دمية أو لعبة فيديو جديدة طالما تمناها؟ سيصبح مستغرقا فيها ،ولا ، يرى شيئا سواها ، سرعان ما سيفقد في عمل شيء آخر،وستشغله حتى عن تناول طعامه .لقد أصبح مستسلما

لما يضره،إذن ماذا ستفعل كونك والدا محبا لطفلك؟هل ستتركه ليغرق في إدمانه وفقدانه الكامل للتركيز والتوازن ؟بالطبع لا . ستأخذها منه!

بعد ذلك، عندما يستعيد الطفل التركيز على أولوياته، ويستعيد سلامة عقله وتوازنه ، وعندما توضع الأشياء في مكانها المناسب في قلبه وعقله وحياته، ما الذي سيحدث؟ ستعيد له الهدية، أو ربما شيئا أفضل ،لكن هذه المرة لم يعد مكانها في قلبه.إنها في مكانها المناسب ؛ إنها في يده.

خلال عملية الأخذ هذه يحصل شيء في غاية الأهمية.فقدان الهدية واسترجاعها غير مهم، المهم أخذ غفلتك،واعتمادك وتركيزك على آخرين غيره، واستبدال كل ذلك بالتذكر والاعتماد والتركيز عليه وحده. هذه هي الهدية الحقيقية. الله يأخذ ليعطي.

ولهذا أحيانا الشيء الأفضل هو الهدية العظمى: القرب منه.

ابن القيم رحمه الله يتكلم عن هذه الظاهرة في كتابه، مدارج السالكين، حيث يقول "فانه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاة إلا كان خيرا له ؛ ساءه ذلك القضاء أو سره، قضاؤه لعبده المؤمن المنع عطاء وان كان في صورة المنع، ونعمة وان كانت في صورة محنة، وبلاؤه عافية وان كان في صورة بلية".

وبالعودة لهذا السؤال، عندما نفقد شيئا هل سيعود؟ الجواب هو : نعم، سيعود،أحيانا هنا وأحيانا هناك، وأحيانا بشكل مختلف وأفضل.لكن الهدية العظمى تكمن في العطاء. يقول اللّه تعالى : (قل بفضل اللّه ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) (يونس :٥٨).

عن ملء الفراغ الداخلي والرجوع إلى الموطن

كنا في موطننا.

وبعد ذلك لم نعد فيه.انتزعنا من منشئنا،سافرنا عبر الزمان والمكان إلى عالم آخر. عالم أدنى، ولكن بهذا الانفصال حدث شيء مؤلم ، فلم نعد مع الله في الحيز المكاني نفسه،لم نعد نراه بأعيننا الطبيعية أو نتحدث معه بصوتنا الطبيعي،فبخلاف أبينا آدم عليه السلام لم نعد مشعر بالأمان نفسه.

هكذا هبطنا. انتزعنا منه.ومن الم ذالك الفراق ،نزفنا لأول مرة،و هذا الانتزاع من خالقنا ترك جرحا بليغا غائرا ولدنا معه جميعا،وكلما كبرنا زاد ألم ذالك الجرح وأصبح أعمق وأعمق ،وكلما مر الوقت ابتعدنا شيئا فشيئا عن الترياق،الكامن في فطرتنا وهو القرب منه، قلبا وروحا وعقلا.

هكذا ومع كل سنة تمر نصبح بحاجة أكثر فأكثر لملء ذلك المكان الخاوي ، ولكن في سعينا الحثيث لملء الفراغ نتعثر، فبعض البشرية تعثرت بالمخدرات أو الكحول،والبعض الآخر تعثر بعبادة المتع المادية،والمركز أو المال، وبعضنا فقد نفسه هناك.

ولكن ماذا لو كانت كل عثرة،وكل تحد وكل تجربة في حياتنا؛ المقصود منها هدف واحد لإعادتنا إلى موطننا الأصلي ؟ماذا لو كان كل فوز وخسارة وكل جمال وسقوط وكل قسوة وكل ابتسامة القصد منها هو فقط رفع عائق آخر بيننا وبين بدايتنا،والمكان الذي نتوق للعودة إليه ؟

ماذا لو كان كل شيء من أجل رؤيته سبحانه؟

يجب أن نعلم أن كل التجارب التي نمر بها في حياتنا ذات هدف ، ونحن من يختار إدراك هذا الهدف أم لا. مثالا على ذلك الجمال؛بعض الناس لا يميزون الجمال حتى إذا كان ماثلا أمامهم،يستطيعون التجول في ساعة الغروب أو اجتياز غابة من أشجار البرتقال ، دون أن يلاحظوا أي شيء.

وهناك آخرون يرون الجمال ويفتنون به.و يتأملون. ربما يكون شعورهم غامضا وفياضا، ولكنه ينتهي عند ذلك الحد.هذا الصنف من الناس مثل الذي يعجب

بالفن ولكنه لا يسأل أبدا عن الفنان؛ولكن إذا أضاع محب الفن نفسه في اللوحة ،ولم ير الرسالة،فان العمل الفني لم ينجز هدفه الحقيقي.

الغرض من الشمس المتألقة ،وأول سقوط للثلج ،والأهلة، والمحيطات التي تبهر الأنفاس،ليس فقط زخرفة كوكبنا الموحش. الهدف أعمق من ذلك بكثير؛ كل هذا الجمال خلق كي يكون إشارة، لا يفهما إلا الذين يتأملون ويتذكرون الله في كل الأحوال، وبالتالي،ينبغي علينا أن نتمعن حتى في غروب الشمس،وحتى خلال تمعننا لا ينبغي أن نفقد أنفسنا،بل ينبغي أن ننظر إلى ما وراء ذلك الجمال الساحر، واللون البديع،لنرى ذلك الجمال المستور وراءه، لأن الجمال الذي وراءه هو الجمال الحقيقي، وكل ما نراه هو انعكاس فقط.

علينا أن نتأمل النجوم والأشجار والجبال المكللة بالثلوج ، لكي نقرا الرسالة الكامنة وراءها،ولكن ما هي تلك الرسالة الكامنة خلف وهج تلك النجوم؟

مؤشرات على عظمته وجلاله وجماله وجبروته وسلطانه .

تفكر وتأمل واستوعب جمال وعظمة ما خلق، إذا كانت المخلوقات بهذا السحر وعظمة! والجمال! فكيف سيكون سحر الخالق وعظمته وجماله؟

وفي النهاية عليك أن تدرك ،الآتي(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) (آل عمران :١٩٠) كل شيء له غرض.

دائما ما نبحث عن آيات ، ودائما ما نطلب من الله أن يكلمنا. ولكن في حقيقة الأمر تلك الآيات تحيط بنا من كل جانب،فهي في كل شيء.الله يتكلم دائما .السؤال هو إذا ما كنا نستمع.

يقول تعالى ك(وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون) (البقرة :١١٨).

إذا نظرنا فيما وراء وخلال كل شيء يحدث لنا نكون قد فهمنا الغرض.إذا حدث شيء تمناه ، احذر أن يفوتك المقصد، ابحث عن الغرض الذي أودعه الله. أي مظهر لذاته يريد سبحانه أن يريك من خلال ما وهبك إياه؟

كذلك عندما يحدث شيء لا ترغب بحدوثه ، احذر أن تضيع في الوهم الذي خلقه الألم،انظر الى ما وراءه!ودعه يقودك لشيء اكبر منه،

إذا كانت هناك مشكلة ليس لها حل ، فلا تيأس، المح قدرة الفتاح، الذي يفتح لعباده أي أمر مغلق.

وتذكر عندما تفن الخلائق برمتها ، ولا تبقى أي شيء آخر في الوجود إلا هو فسيسال الله تعالى : (لمن الملك اليوم) (غافر:١٦).

لمن الملكوت اليوم ؟ من غيره لديه القدرة على إنقاذك؟ من غيره يتولى رعايتك؟من غيره يستطيع إن يداوي قلبك؟من غيره يستطيع أن يرزقك؟ من غيره تستطيع أن تفر إليه؟ للواحد القهار.الفرار لأي شيء آخر غيره هو مقاومة للقهار.

وبالتالي في طريقنا هذا للعودة إلى حيث بدأنا ، من غيره يمكن أن نلوذ به ،من غيره نستطيع أن نقصده؟ في نهاية المطاف، كلنا يريد الشيء نفسه :أن نكون كاملين: وأن نكون سعداء، وأن نقول مرة أخرى : نحن في موطننا.

إفراغ الإناء

قبل أن نتمكن من ملء أي إناء ،عليك أن تفرغه أولا. فالقلب إناء.ومثل أي إناء لابد من إفراغه قبل التمكن من ملئه مرة أخرى، ولا يستطيع أي امرئ أن يأمل بملء قلبه باللّه سبحانه إذا كان إناؤه مملوءا بغيره.

إفراغ القلب لا يعني ألا تحب،فالحب الحقيقي مثلما يريده اللّه سبحانه ،يكون الأنقى عندما لا يبنى على علاقات زائفة. إن عملية إفراغ القلب أولا نجدها في النصف الأول من الشهادة.لاحظ أن الشهادة تبدأ بنفي حاسم، بعملية إفراغ ضرورية قبل إن تأمل الوصول إلى التوحيد الحقيقي.وقبل أن نرسخ إيمانا بالإله يجب إن نعلن أولا :"لا اله. الإله هو محور العبادة ، لكن ما ينبغي علينا فهمه أن الإله ليس مجرد شيء ندعوه، هو من تتمحور حياتنا حوله، هو من نطيع،هو من يكون لنا في قمة الأهمية ، وفوق كل شيء.

فكل شخص سواء كان ملحدا أم مسلما أم مسيحا أم يهوديا لديه اله.المعبود لكثير من الناس شيء موجود في هذه الحياة الدنيا.فبعض يعبد الغنى،المركز،

الشهرة،قدراته العقلية،وبعض الناس يعبدون أشخاصا . وكثير،كما يصفهم القرآن يعبدون أنفسهم ورغباتهم وشهواتهم، يقول تعالى(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) (الجاثية:٢٣)

هذه المعبودات هي الأشياء التي نتعلق بها. بل هو شيء نكون بحاجة إليه،إذا فقدناه سبب لنا ذلك دمارا كاملا. إذا تعلقنا بأي شيء أو أي شخص غير الله ولم نستطع التخلي عنه، فما لدينا هو علاقة مزيفة. لماذا أمر إبراهيم عليه السلام بالتضحية بابنه؟ لتحريره من تعبق زائف . فبعدما تحرر، أعيد له ما كان يحب لا ما كان متعلقا به.

إذا كان فقداننا لأي شيء – أو أي شخص- يكسرنا تماما فنحن بصدد تعلق زائف. فالعلاقات الزائفة هي ما نخشى فقدانها إلى درجة الرعب. هي أشياء إذا ما خالجنا شعور بفقدانها وحرماننا منها ، فإننا سنلاحقها بتهور.نلاحقها لأن فقداننا لما تعلقنا به سيسبب لنا جزعا شديدا، وبقدر شدة تعلقنا، ستكون شدة الجزع عند فقداننا له.لن نستطيع أن نفرغ إناء قلبنا إلا بكسر هذه العلاقات الزائفة ، وإذا لم نفرغ ذلك الإناء ، فلن نستطيع أبدا ملئه بالله.

ان جهاد أحدنا ليحرر قلبه من العلاقات الزائفة ، هو الجهاد الأعظم في هذه الحياة الدنيا.هو جوهر التوحيد، وسترى أن أركان الإسلام الخمسة إذا تأملتها بعمق هي خير معين للتحرر من القيود الدنيوية:

الشهادة : إعلان لفظي للتحرر الذي نريد أن نصل إليه، إعلان بان معبودتا ومن نتضرع إليه ونحبه ونخافه ونرجوه هو الله وحده . النجاح في تحرير النفس من كل العلاقات عدا العلاقة بالخالق، هو التجسيد الحقيقي للتوحيد.

الصلاة : يتوجب علينا الابتعاد عن الدنيا ،للتركيز على خالقنا وغرضنا السامي.خمس مرات يوميا ،ننتزع أنفسنا من كل ما نمارسه في حياتنا اليومية ، ونتوجه إلى الله. كان من الممكن أن تفرض علينا مرة واحدة في اليوم أو الأسبوع ، أو أن تقام في وقت واحد من اليوم،لكنها ليست كذلك.فإذا أقام الشخص الصلوات في أوقاتها المحددة المعلومة، فلن تتاح له فرصة للتعلق . فحالما نبدأ بالانغماس في الأمور الدنيوية؛ نجبر على الانفصال عن كل ذلك وتوجيه انتباهنا إلى من هو أحق بالتعلق.

الصيام: انه الامتناع عن الطعام والشراب والعلاقة الحميمة مع الزوج والكلام البذيء.تحكمنا بطبيعتنا البشرية سيمكننا من تنقية أرواحنا وتطهيرها وتمحيصها.أثناء الصيام نجبر على قطع علاقاتنا مع احتياجاتنا المادية وشهواتنا ومسراتنا.

الزكاة: تتمحور الزكاة حول قطع صلتنا بمالنا، و إنفاقه في سبيل الله. و بإنفاقنا للمال، نجبر على كسر تعلقنا بالثروة.

الحج :يعد الحج واحدا من أكثر الأعمال الداعية للانفصال شمولا وعمقا، حيث يترك الحاج خلفه كل شيء في حياته، ويستبدل بهم النوم على الأرض أو في خيمة مزدحمة، وارتداء قطعتين فقط من القماش الزهيد. فلا يوجد إحرام بماركة(تومي هيلفيجر) ولا خيام بخمسة نجوم؛ فعروض الحج تشمل فترة ما قبل الحج أو ما بعده. أما خلال فترة الحج نفسها، فستنام في خيمة في منى ، بينما في مزدلفة ستفترش الأرض ، و تلتحف السماء.

أعلم أن الله بعلمه ورحمته الأزليين ، لا يأمرنا –فحسب-بقطع صلتنا بالدنيا:بل ويخبرنا كيف نقوم بذلك بالضبط. فضلا عن الأركان الخمسة، فان مجرد الرداء الذي نرتديه يولد لدينا ذلك الشعور بالانفصال، فقد أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم بتميز أنفسنا عن عامة الناس ، حتى في مظهرنا؛ فلبس الحجاب ، وارتداء الكوفية

وإعفاء اللحية، لا يمكنك أن تندمج تماما – حتى لو أردت ذلك . قال الرسول صلى الله عليه وسلم" إن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء"(صحيح مسلم)

أن نكون " غرباء" في هذه الدنيا، سيمكننا من العيش فيها من غير أن نكون جزءا منها ، فمن خلال هذا الانفصال نستطيع إخلاء إناء قلبنا وتهيئته لما يغذيه ويمنحه الحياة. بإخلاء قلبنا نعده لغذائه الحقيقي: الله سبحانه وتعالى.

من أجل حب الهدية

كلنا يحب الهدايا. نحب النعم التي تزين حياتنا . نحب أطفالنا و أزواجنا و آبائنا و أصدقائنا. نحب شبابنا وعافيتنا . نحب بيوتنا ومركبتنا و أموالنا وجمالنا. لكن ماذا يحدث عندما تصبح الهدية أكثر من كونها مجرد هدية؟ ماذا يحدث عندما تصبح الرغبة حاجة، وتلقي المعروف أمرا معولا عليه؟

ما لهدية، الهدية شيء لم يأت منا. شيء يمنح- ويمكن أن يسلب؛فنحن لسنا المالكين الأصليين للهدية.إنها تأتي وتذهب.نحن نريد ونحب تلقي الهدايا،لكنها ليست ضرورية لوجودنا ولا نعول عليها،و لا نحيا لتسلمها،ولم نموت إذا لم نحصل عليها.الهدايا ليست هواءنا ولا طعامنا.من منا لا يحب الهدية؟ ولا يحب تلقي المزيد منها؟نحن نسأل الكريم بألا يحرمنا أبدا من هداياه.

تذكر أن هناك موضعين للاحتفاظ بشيء ما: في اليد أو في القلب .أين نحتفظ بالهدية؟لا تحفظ الهدية في القلب، بل في اليد ، ولهذا عندما تسترد الهدية، يسبب

الفقدان ألما لليد، وليس القلب، وكل من عاش فترة ليست بالقصيرة في هذه الحياة يعلم أن ألم اليد لا يشبه الم القلب.فتألم القلب هو لفقدان شيء متعلق به، او مدمن عليه او شغوف به .ذلك الألم لا يشبه أي ألم آخر .ذلك اللم هو الذي سيجعلنا ندرك أننا فقدنا شيئا قد تعلقنا به. هدية وضعت في الموضع الخاطئ.

ألم اليد هو ألما أيضا، لكنه مختلف.هو أن تفقد شيئا ، ولكنه ليس شيئا تعتمد عليه.عندما تنزع الهدية من اليد أو لا تعطى أبدا،- سنشعر بالألم الطبيعي الناتج عن الفقدان. سنغتم!سنبكي! ولكن الألم محله اليد فقط؛ بينما قلبنا نابضا وسليما.لأن القلب للّه سبحانه.

وللّه وحده.

إذا تفحصنا الأشياء التي تسبب لنا أشد الألم والخوف في حياتنا، نستطيع أن نحدد أيا من تلك الهدايا قد حفظت في المكان الخاطئ. إذا كانت عدم قدرتنا على الزواج ، أو العيش مع الشخص الذي نريد ، أو إنجاب طفل أو العثور على عمل أو الظهور بشكل معين أو نيل شهادة او الحصول على مركز معين تشغل بالنا.ففي مثل هذه الحالة نحن بحاجة لتغير المكان الذي حفظت فيه تلك الهدية؛ نحن بحاجة إلى إزالة الهدية من قلبنا ، وإعادتها إلى يدنا ، حيث يجب أن تكون.

يمكننا أن نحب الأشياء ، فالحب من طبيعة البشر، ومن طبيعة البشر الرغبة في الحصول على الهدايا التي تحب.ولكن مشكلتنا عندما نضع الهدية في قلبنا واللّه في يدنا. ومن المفارقات العجيبة اعتقادنا بأننا نستطيع العيش دون اللّه ، ولكن إذا ما فقدنا الهدية ، ننهار ونفقد القدرة على الاستمرار.

نتيجة لذلك سيكون بإمكاننا إن نضع اللّه جانبا من أجل الهدية، ولهذا يصبح من السهل علينا تأخير أداء الصلاة أو إضاعتها ،ولكن لا تحرمني من مواعيد عملي أفلامي أو خروجي. من السهل ان اقترض قروضا ربوية، ولكن لا تحرمني من هامش ربحي ،ووظيفتي المرموقة.ومنزلي الفخم. من السهل ان أدخل في علاقة

شرعية ، لكن لا تحرمني من الشخص الذي أحب. من السهل ان أضع جانبا الحياء الذي وصفه الله بالجمال ، لكن لا تحرمني من ارتداء البناطيل الضيقة ، لأن المجتمع أخبرني بأن هذا هو الجمال .

حدث هذا لأن الهدية في قلبنا ، بيمنا الله في يدنا، سنحتاج لسؤال أنفسنا :

مالذي نعبد حقا: الهدية أم المهدي ؟الجمال أم مصدر الجمال وتعريفه؟ المئونة أم المون؟ الخلق ام الخالق؟

المأساة في اختيارنا هي أننا نقيد أعناقنا بروابط دنيوية، ومن ثم نتساءل لماذا نحس بالاختناق؟ نحن نضع الهواء الحقيقي جانبا ثم نتساءل، لماذا لا نستطيع التنفس؟ نستغني عن طعامنا الوحيد، ثم نشتكي عندما نموت جوعا.وبعد كل هذا نغمد السكين في صدورنا ثم نبكي، كم هو مؤلم. لكن ما فعلناه لأنفسنا.

يقول الله تعالى(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)(الشورى ٣٠) ولكن انظر كيف ختمت الآية، من صفات الله العفو هذه الصفة تعني المحو التام!

فمهما أغمدنا تلك السكين في صدرنا ، فان الله قادر على شفائنا ، وكأنما الطعنة لم تقع! سيجبرها الجبار.

إذا قصدته.

بدأت هديتنا عندما رأينا الهدية كهواء نتنفسه، بدلا من أن نراها كما هي : مجرد هدية. لذلك عندما يتم استرجاع الهدية أو عدم إعطائها أصلا ، سنتصور بأننا لسنا قادرين على الاستمرار؛ هناك فقدان وحيد لا يمكن تعويضه، أن نفقد الله في حياتنا. إلا أنا المفارقة هي أن الكثير منا قد فقد وجود الله في حياته، ومع ذلك نعتقد بأننا لا نزال على قيد الحياة .. اتكالنا المزيف على هداياه كثيرا ما يخدعنا.

الله وحده نجاتنا، وليست هباته. الله داعمنا وهو وحده حاجاتنا الضرورية .

كلنا لديه احتياجات، وجميعنا لديه رغبات، لكن معاناتنا الحقيقية تبدأ عندما نحول رغباتنا إلى احتياجات، وعندما نحول احتاجنا الحقيقي الوحيد(اللّه) إلى سلعة نظن أنه يمكننا العيش بدونها.

ان الهدف الحقيقي من الهدية نفسها هو جذبنا إلى اللّه فحتى الهدية هي مجرد وسيلة . مثلا، ألم يخبرنا الرسول صلى اللّه عليه وسلم بأن الزواج نصف الدين؟لماذا؟ إذا تم تطبيقه بشكل صحيح، فان هناك أشياء أخرى في هذه الحياة يمكن أن يكون لها مثل التأثير الشامل للزواج على تنمية شخصية الفرد. يمكنك أن تقرأ ما شئت من سجايا مثل الصبر والشكر والرحمة والتواضع والكرم ونكران الذات و الإيثار،ولكنك لن تنمي هذه السجايا لديك، إلا إذا وضعت في موقف تختبر فيه هذه السجايا.

هدايا مثل الزواج ستكون وسائل للتقرب الى اللّه، مادامت بقيت مجرد وسائل، وليست غايات.هبات اللّه اللّه ستبقى وسائل للوصول إليه مادامت وضعت في اليد ليس القلب.تذكر ان أي شيء أسكنته قلبك سيتحكم بك ، وسيصبح ما تكافح من اجله، ومستعد للتضحية بأي شيء لامتلاكه والاحتفاظ به، وسيصبح ما تتكل عليه أولا وأخيرا. لذا ينبغي أن يكون ذاك الشيء أبديا لا يكل ولا ينكسر، ومن ثم يجب أن يكون شيئا لايفارقنا أبدا. واحد فقط بهذه الصفات : الخالق.

أمان على السطح

كلنا قد عاش لحظات مؤثرة، بالنسبة لي عشت لحظة من تلك اللحظات ، عندما كنت واقفة على سطح المسجد الحرام؛ فوقي السماء وأسفل مني أروع منظر للكعبة ، التي هي إشارة واضحة إلى الله، ولهذه الحياة، والحياة الأخرى. كنت محاطة بحشود متزاحمة-لا تجتمع في أي مكان على الأرض- ولكن بالنسبة لي شعرت بأني أقف وحيدة مع الله.

جلبت معي إلى ذلك السطح الكثير من الحزن والحيرة والشك ؛ قدمت بكثير من الحزن والحيرة والشك والضعف والهشاشة والألم، واقفة على مفترق الطريق في حياتي، حاملة معي خوفا مما يمكن أن يأتي، وأملا فيما يمكن أن يكون، تذكرت قصة موسى عليه السلام وهو واقف على ساحل البحر الأحمر. عيناه لم تريا سوى

جدار من الماء يحبسه مع اقتراب الجيش، أما بصيرته فلم تر إلا الله، وطريق نجاة مضمون، كأنما مر به مسبقا.في حين كانت أصوات قومه، مجردة من الثقة والأمل ، وقد تملكها الجزع خوفا من أن يدركهم فرعون وجيشه، وأما موسى فلم يجزع. حينما كنت واقفة هناك سمعت أصواتا بعيدة تحذرني مما سيأتي، لكن ما سمعه قلبي كان فقط: (إن معي ربي سيهدين)(الشعراء:٦٢)
لكن لا يمكننا الرؤية عبر أوهام المشقة والحيرة والألم التي تحيط بنا إلا إذا سمحنا لقلبنا بالتركيز، أساس الإسلام التوحيد،ولكن التوحيد لا ينحصر في قول لا اله إلا الله ، انه أعمق من ذلك بكثير، انه توحيد الفرض، والخوف والعبادة والحب المطلق لله تعالى والرؤيا والتركيز. هو توجيه نظرك إلى نقطة واحدة، وأن تدع كل الأشياء الأخرى تقع في مكانها المخصص.

إذا ما سبق لك رؤية صورة لي " العين السحرية"فانه يمكنك أن ترى صورة مجازية رائعة لهذه الحقيقة. عند النظرة الأولى لا يظهر من الصورة إلا مجموعة من الأشكال بغير ترتيب او غرض، ولكن إذا ما بدأت بتقريب الصورة إلى وجهك، وتركيز عينك على نقطة وحيدة منفردة، فانه حالما تقوم بتحريك الصورة تدريجيا بعيدا عن وجهك، سرعان ما تتضح الصورة . لكن حالما تزيح نظرك عن نقطة التركيز المنفردة، تختفي الصورة.
بالطريقة نفسها كلما ركزنا على الدنيا، تبعثرت أمورنا، وكلما ركضنا وراء الدنيا، هربت منا؛ومن المفارقة انه كلما لاحقنا الغنى ، شعرنا بالفقر.إذا كان المال هو محور اهتمامنا، سنجد أنه مهما ملكت من مال فستخشى دائما فقدانه،هذا الولع بالمال هو الفقر بعينه، ولهذا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الناس" بأن الفقر دائما بأعينهم" مهما ملكوا لا تتحقق لديهم القناعة. لكن

الذين يركزون على الله تقبل عليهم الدنيا، ويضع الله القناعة في قلوبهم فهم يشعرون بالغنى.

عندما يشعر هؤلاء الناس بأنهم أسرى للحياة ، وللصعوبات المادية والألم والوحدة والخوف وانكسار القلب والحزن، فكل ما عليهم فعله هو التوجه إلى الله وهو تعالى سيجعل لهم مخرجا من كل ضيق.

الله سيكفيهم ، فالله هو الكافي. وبالتالي لن يكون سوى السلام لهؤلاء الذين يجعلون الله همهم الأول، فكل ما يحدث لهم في هذه الحياة حسن ومقبول؛ لأنه إرادة الله

ومن ثم في قلب هذا الصنف من المؤمنين نوع من الفردوس، وهو الفردوس الذي تكلم عنه ابن تيمية رحمه الله عندما قال" إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة" . وفي هذه الجنة ، السلام التام ليس حالة مؤقتة، بل حالة أبدية.

محيط الدنيا

ذهبت البارحة إلى الساحل. عندما جلست أراقب أمواج كاليفورنيا الضخمة، أدركت شيئا غريبا. المحيط يخلب الألباب بجماله،على الرغم من شدة جماله، فانه كذلك مميت. نفس الأمواج الخلابة التي نستمتع بها على الساحل ستقتلنا إذا دخلناها. الماء ، تلك المادة الضرورية لاستمرار الحياة، قادرة على تحطيم تلك السفن وتحويلها إلى قطع صغيرة.

هذه هي الحياة الدنيا، تماما مثل المحيط، وقلوبنا السفن؛ نستطيع أن نستخدم المحيط لسد حاجاتنا، ووسيلة للوصول إلى غايتنا النهائية. لكن هو المحيط فقط

ذلك:وسيلة للحصول على طعام البحر، وهو وسيلة للسفر ، للوصول إلى هدف أسمى ، ولكنه مجرد طريق نسلكه، ولا نفكر أبدا في الإقامة فيه . تخيل إذا أصبح المحيط غايتنا وليس وسيلتنا فقط..

في نهاية الأمر سنغرق.

مادامت مياه المحيط باقية خارج السفينة. ستبقى السفينة عائمة وتحت تسرب الماء إلى السفينة ؟ ماذا سيحدث السيطرة، ولكن مالذي سيحدث إذا ما عندما تكون الدنيا ليست مجرد ماء خارج قلوبنا، وعندما لا تكون مجرد وسيلة؟ماذا سيحدث عندما تدخل الدنيا في قلوبنا؟

حينها يغرق القارب.

حينها سيؤخذ القلب رهينة ويصبح عبدا. حينها تبدأ الدنيا - التي كانت تحت سيطرتنا يوما-بالتحكم بنا.

لكن نبقى عائمين، ينبغي أن ننظر الى الدنيا بالطريقة نفسها؛ لأن الله أخبرنا(ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (آل عمران:١٩٠). نحن نحيا في هذه الدنيا، وقد خلقت لنا الدنيا لنستخدمها، فالزهد في الدنيا لا يعني أن نقطع تواصلنا مع العالم، بل علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم ما يجب علينا القيام به

لم ينسحب الرسول صلى الله عليه وسلم من الدنيا كي ينقطع عها كليا، .بل كان معنى الانقطاع لدية أعمق بكثير، كان انقطاعا قلبيا، وكل ارتباطه الوثيق هو بالله

وحده فقط، واللجوء إليه وحده ،لأنه فهم حقا كلام الله(و ما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدارة الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) (العنكبوت:٦٤)

الزهد لا يعني بأننا لا نستطيع امتلاك أشياء في هذه الدنيا،فالكثير من الصحابة كانوا أغنياء، بل هو أن ننظر إلى الدنيا ونتعامل معها كما هي في الحقيقة : وسيلة فقط.

هو عندما تبقى الدنيا في يدنا- لا في قلوبنا-كما عبر عن ذلك علي رضي الله عنه حيث قال:(ليس الزهد ألا تملك شيئا ، ولكن الزهد ألا يملكك شيء).

مثلما يحدث عندما تدخل مياه المحيط إلى القارب، في اللحظة التي تدخل الدنيا فيها إلى قلوبنا، فإننا نغرق.

لم يقدر للمحيط أن يدخل السفينة، قدر له أن يكون وسيلة تبقى خارجه، الدنيا كذلك لم يقدر لها أن تدخل قلوبنا، ولهذا السبب وصفها الله مرارا في القرآن الكريم بالمتاع، قد يعني أنها " مورد للسعادة الدنيوية المؤقتة" إنها الطريق وليست الغاية.

هذا المفهوم الذي تحدث عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ببلاغة عندما قال :" ما أنا والدنيا ؟! إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" (أحمد، الترمذي)

فكر للحظة بالمعنى المجازي للمسافر. تخيل بأن رئيس الشركة أرسلك إلى مدينة جديدة لتعمل على مشروع محدد،ولم يخبرك متى ينتهي المشروع بالضبط، ولكنك تدرك أنك سترجع إلى بيتك يوما ما، كيف سيكون حالك في تلك المدينة؟ هل ستستثمر أموالك في عقارات ضخمة،وتنفق كل مدخراتك في شراء أثاث ثمين، وسيارة فاخرة ؟ على الأرجح لا.وحتى عند التسوق على الأغلب ستتردد في شراء ما هو أكثر مما تحتاجه لبضع أيام، لأن رئيسك قد يدعوك في أي يوم للعودة.

هذه هي عقلية المسافر، هناك انقطاع طبيعي يأتي لحظة إدراك أن شيئا مؤقت فقط، هذا ما قاله الرسول صلى اللّه عليه وسلم في حديثه. حيث أدرك خطر التشبث بهذه الدنيا. في الواقع ، لم يخش شيئا علينا أكثر من ذلك.

قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم (فو اللّه مالفقر أخشى عليكم . ولكني أخشى عليكم أن تنبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) (متفق عليه).

أدرك الرسول المبارك حقيقة الدنيا.أبحر في المحيط الذي نبحر فيه جميعا، ولكن سفينته علمت جيدا: من أين أتت؟والى أين ستذهب؟ظل قاربه جافا، علم أن المحيط ذاته الذي يتلألأ في ضوء الشمس، سيصبح مقبرة للسفن التي تسمح له بالدخول إليها.

استرجع قلبك

ليس هناك من يرغب في السقوط ، وقلة من الناس تختار الغرق، ولكن في خضم الصراع في محيط هذه الحياة،أحيانا يكون من الصعب جدا منع الدنيا من الدخول.أحيانا يقتحمنا المحيط، وتتسرب الدنيا إلى قلوبنا.

ومثل الماء الذي يحطم القارب، عندما تدخل الدنيا، تحطم قلبنا.مؤخرا ، ذكرت بما يبدو عليه مهر القارب المحطم ، و مالذي يحدث عندما نسمح لكل شيء بالدخول.تذكرت ذلك لأني رأيت من هي مثلي تماما، من وقعت في حب هذه الحياة أكثر مما ينبغي، وسعت لإشباع نفسها بالمخلوق، فحطم محيط الدنيا قاربها كما حطم قاربي،فوقعت خارجا في الماء. لكنها بقيت طويلا في القاع، ولم تعرف كيف ترجع الى السطح ، ومالذي تتمسك به.

فغرقت.

إذا سمحت للدنيا بان تملك قلبك؛ فمثل المحيط الذي يمتلك القارب، ستستحوذ عليك، ستغوص إلى أعماق البحر، ستشعر بالانكسار،وتكتنفك الظلمات، ذلك هو الشيء المذهل في قاع المحيط، لا يصل إليه نور.

ومع ذلك هذا المكان المظلم ليس هو النهاية.تذكر أن أشد ساعات الليل ظلاما هي التي تسبق الفجر، وما دام قلبك نابضا، فهذا ليس موته.أحيانا يكون قاع المحيط محطة توقف فقط في الرحلة. وعندما تكون في أدنى حالة، ستواجه خيارين ، إما أن تبقى في القاع حتى تغرق وإما أن تجمع اللؤلؤ وتصعد إلى الأعلى ، وقد زدت قوة بالسباحة وغنى بالمجوهرات.

سيرفعك الله إذا سعيت إليه ، ويستبدل بظلمات المحيط نور شمسه. اعلم أن التغير أحيانا يبدأ بسقوط، فلا تلعن السقوط. في القاع،خذه ، وتعلمه، واستنشقه. ثم عد أقوى وأكثر تواضعا، وأكثر إدراكا لاحتياجك إليه.عد بعد رؤيتك لعدمك ولعظمة الله. اعلم أنك إذا رأيت الحقيقة، فقد رأيت الكثير. فالمخدوع حقا من يرى ذاته نفسها ، و لايرى الله . محروم من يشاهد احتياجه الملح لله ، معتمدا على

من يرى من وسائل ، متناسيا أن تلك الوسائل وروحه نفسها وكل مافي الوجود هي مخلوقاته سبحانه وتعالى.

اقصد اللّه كي يرفعك، فإذا رفعك ، فسيصلح سفينتك، وسيجبر القلب الذي ظننت أنه تلف إلى الأبد؛ ماتحطم سيرجع كاملا مرة أخرى. اعلم أنه وحده سبحانه هو القادر على فعل ذلك.

وعندما ينقذك ، التمس الصفح عن السقطة ، اشعر بالندم عليها، ولكن لا تيأس، كما قال ابن القيم رحمه اللّه" فرح إبليس بنزول آدم من الجنة، وما علم أن هبوط الغائص في اللجة خلف الدر صعود".

هناك شيء فعال ومدهش في التوبة ، والرجوع الى اللّه. أخبرنا بأنها صقل للقلب. الشيء المدهش عن الصقل، هو أنه ليس مجرد تنظيف، بل انه يجعل الشيء الذي يصقل أكثرا بريقا مما عليه قبل أن يتسخ. اذا رجعت الى اللّه ملتمسا صفحه، وجعلت اللّه محور حياتك وقلبك، فستكون لديك إمكانية لأن تكون أكثر غنى، كما لو كنت لم تسقط أبدا . أحيانا السقوط ثم النهوض ثانية يكسبك حكمة وتواضعا لا يمكنك اكتسابها بطريقة أخرى.

يذكرنا اللّه في القرآن الكريم ألا نيئس أبدا، يقول سبحانه(قل يا عبادي اللذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّه ان اللّه يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) (الزمر:٥٣).

هذه دعوة لكل من أصبح مستعبدا لطغيان النفس، وسجينا في زنزانة النفس والشهوات. إنها دعوة لكل من دخل محيط الدنيا وغاص في أعماقه، وأصبح أسيرا لأمواجه العاتية. ارق إلى الهواء، إلى العالم الحقيقي فوق سجن المحيط إلى حريتك، ارق وعد إلى الحياة. دع موت روحك وراءك، فقلبك لا يزال قادرا على الحياة، ألا يجعل صقل التوبة القلب أكثر جمالا مما كان عليه؟ ارفع الستار الذي نسجته من ذنوبك ، ارفع الستار بينك وبين الحياة، بينك وبين الحرية، بينك وبين النور، بينك وبين اللّه. عد إلى نفسك. عد إلى بدايتك. عد إلى موطنك. اعلم أن الأبواب الأخرى عندما تغلق جميعها في وجهك، فان هناك واحدا سيبقى دائما مفتوحا، اقصد ذلك الباب.

هذه الدنيا لا تستطيع أن تكسرك- إلا إذا أذنت لها بذلك. ولا تستطيع أن تملكك إلا إذا سلمتها المفاتيح- إلا إذا أعطيتها قلبك. ومن ثم ، إذا سلمت تلك المفاتيح للدنيا لوهلة، استردها. إنها ليست النهاية. لا يتعين عليك أن تموت هنا ، استرجع قلبك وضعه مع مالكه الحقيقي : اللّه.

الحب

الهروب من أسوأ سجن

عندما تعرفت سارة على أحمد، أحست فورا بأنه كل ما كانت تحلم به، لقاؤه كان مثل مراقبة الشروق وسط عاصفة ثلجية. أذاب دفؤه البرد. لكن سرعان ما تحول الإعجاب إلى عبادة! قبل أن تدرك ما حصل، أصبحت سارة سجينة، لرغباتها وتعلقها بمن عشقت، لم تعد ترى أي شيء سواه، أصبحت أكبر مخاوفها في حياتها هي أن تكون سببا في استيائه. كان المحور الذي تدور حوله مشاعرها، وبدونه لم يكن للسعادة معنى. كان فراقه أشبه بسلخ روحها من جسدها. قلبها كان ينبض شغفا برؤية وجهه، ولا شيء كان أقرب اليها منه. أصبح بالنسبة لها كالدم الذي يجري في عروقها. ألم العيش بدونه لا يحتمل، لأنها لم تجد أي سعادة في أي موضع لم يكن فيه.

اعتقدت سارة أنها وقعت في الحب.

مرت سارة بالكثير في حياتها. تركها والدها عندما كانت في مرحلة المراهقة، ثم هربت من البيت، ودخلت في صراع مع الإدمان على المخدرات والكحول. وقضت كذلك وقتا في السجن.لكن كل هذه الآلام مجتمعة لن تعادل الألم الذي ستشعر به داخل هذا السجن الجديد الذي صنعته لنفسها. أصبحت أسيرة لشهواتها وهذا ما عبر عنه ابن تيمية(رحمه الله) عندما قال: (المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه). (ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب).

كانت عبوديتها لأحمد كربا أشد من الكرب الذي مرت به في مراحل حياتها السابقة.أنهكها، وفي الوقت نفسه تركها خاوية، كانت سارة تلاحق سرابا بشغف، ولكن ما كان أسوأ من ذلك هو عاقبة وضع شيء في المكان الذي لا ينبغي إلا الله وحده.

قصة سارة عميقة جدا لأنها تبين حقيقة الوجود الراسخة. كوننا بشرا، خلقنا بفطرة معينة، وهذه الفطرة تمكننا من التعرف على وحدانية الله، وتطبيق هذه الحقيقة في حياتنا. لا توجد مصيبة أو خسران أو أي شيء يمكن أن يسبب لنا ألما، أكثر من وضع شيء مساو لله في حياتنا أو قلوبنا. لا يمكن لمأساة دنيوية أن تدمر روح الإنسان كما يفعل الشرك، عندما تجعل الروح تحب وتخاف وتخضع لشيء كما لا ينبغي إلا لله وحده. فانك تكبل روحك في سجن ليس من الفطرة أن تكون فيه.

في يوم ٢٢ من شهر يوليو سنة ٢٠١٠، نشرت صحيفة التايمز الهندية أن امرأة في الأربعين من عمرها انتحرت في منزلها بإشعال النار على نفسها بعد صب الكيروسين على جسدها . قالت الشرطة : يظهر أن الانتحار كان " إجراء نهائيا بسبب عدم تمكنها من الإنجاب بعد تسعة عشر عاما من الزواج".

وقبل بضعة أيام من الحادثة ، أعلنت الشرطة الهندية أن رجلا في الثانية والعشرين من عمره انتحر لأن عشيقته تخلت عنه. قد يتعاطف الناس مع ألم

هؤلاء الأشخاص، وقد يصاب الكثير بالإحباط إذا ما تعرضوا لمواقف مماثلة . لكن إذا كان الحصول على طفل أو شخص معين في حياتنا هو سبب وجودنا ، فهناك خطأ جسيم، إذا أصبح شيء فان مؤقت ومتلاشي هو محور حياتنا وغايتنا، والسبب الذي نعيش من أجله، سنتحطم حتما . الأشياء الناقصة ، التي نجعلها محور اهتمامنا تتلاشى ، أو تخذلنا أو تموت. وحالما يحصل ذلك ، سننكسر. أخبرنا القرآن الكريم عن هذه الحقيقة: (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) (الحج:٧٣).

ان الرسالة التي تجلت في هذه الآية عميقة حقا ، فكلما ركضت خلف شيء ضعيف أو واهن، أو بحثت عنه أو التمست العون فيه، فان ذلك الشيء والذي هو بحكم التعريف: أي شيء غير الله سيجعلك ضعيفا أو واهنا. حتى ولو وجدت ما تبحث عنه، فلن يكون ذلك كافيا، إذ سرعان ما ستبدأ بالبحث عن شيء آخر، ولن تصل أبدا إلى القناعة والراحة الحقيقية.

بيد أنه هناك تحرر من هذه العبودية. عندما تضع كل ثقلك على من لا يهتز ولا ينكسر ولا ينتهي، فانك لن تسقط ، ولن تنكسر.

عندما يكون ما تتمسك به قويا ، تصبح قويا ، ومع هذه القوة تأتي الحرية الحقيقية وعن تلك الحرية قال ابن تيمية (ماذا يصنع أعدائي بي؟ جنتي في صدري، لا يستطيعون أن ينزعوها من ، فان نفوني فنفي سياحة، وان حبسوني فحبسي خلوة، وان قتلوني فقتلي شهادة) (ابن القيم ، الوابل الصيب من الكلم الطيب)،ولا نهاية له أو ضعف ، معبدوه الوحيد، لقد وصف قلب مؤمن حر، محرر من أغلال العبودية في هذه الحياة، قلب يدرك المأساة الحقيقة هي فقط في التخلي عن التوحيد، وأن البلاء المستعصي هو عبادة شيء أو شخص غير الذي يستحق العبادة.

من الضروري جدا استيعاب تجربة النبي يونس عليه السلام عندما أصبح في بطن الحوت، كانت لديه وسيلة وحيدة للخروج: التوجه تماما إلى اللّه، وإدراكه لضعفه البشري، دعاؤه جسد هذه الحقيقة(لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (الأنبياء:٨٧). الكثير منا كذلك سجناء في بطن حوت شهواتنا و معبوداتنا. وهذه العبودية هي نتيجة لوضعنا أي شيء حيث يجب أن يكون اللّه في قلوبنا، بفعلنا هذا نخلق أقسى السجون و أكثرها إيلاما؛ لأن السجن الدنيوي يمكنه أن يسلب منا فقط ما هو مؤقت وغير كامل بطبيعته؛ بينما يسلب هذا السجن الروحي ما هو مطلق ، أبدي و كامل : اللّه وصلتنا به.

هل ما أشعر به حب؟

" الحب هو مرض نفسي خطير". على الأقل هذا ما وصفه به (بلاتو). وبينما قد يرى من وقع في الحب شيئا من الحقيقة في هذه العبارة، يكن الخطأ الجسيم الذي يرتكب هنا، من هو أن الحب ليس مرضا نفسيا، إنما هي الشهوة.

إذا كان المقصود "بوقوعنا في الحب" هو تبعثر حياتنا ، وجعلنا منكسرين وبؤساء و منهكين تماما. وغير قادرين على الاستمرار في مزاولة مهامنا، ومستعدين للتضحية بأي شيء، فليس هذا هو الحب، على الرغم مما تعلمناه في ثقافتنا الشائعة، ليس من المفترض أن يجعلنا الحب الحقيقي مثل مدمني المخدرات.

ومن ثم خلافا لما نِشأنا عليه من متابعتنا للأفلام، هذا النوع من الهواجس المتلفة المتسلطة ليس هي الحب، إنها تخذ اسما مختلفا- إنها الهوى- وهي الكلمة التي استخدمت في القرآن للإشارة إلى الرغبات والشهوات الدنيئة الفارغة.

عندما يكون حبنا لما نشتهيه أقوى من حبنا لله، نكون قد جعلنا ما نشتهيه معبودنا. قال تعالى(ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين أمنوا أشد حبا لله)(البقرة :١٦٥)

اذا كان حبنا لشيء ما سيجعلنا مستعدين للتخلي عن أهلنا وكرامتنا، واحترامنا لذاتنا، وأجسادنا وعقولنا، وراحة بالنا ودِيننا، وحتى إلهنا الذي أوجدنا من العدم، فأعلم بأننا لسنا"واقعين في الحب" بل نحن عبي.

تستطيع العثور على أمثلة جميلة لهذه الحقيقة في العديد من الكتابات الأدبية. ففي رواية (آمال عظيمة) لكاتبتها ديكنز، يمثل (بيب) هذه الحالة عندما يصف شغفه ب(ستيلا)، قائلا" لسوء حظي لقد علمت أني في كثير من الأحيان- إن لم

يكن دائما-أحببتها عكس ما يقتضيه المنطق، والوعد، والسلام، والأمل،والسعادة، وضد كل الأسباب التي تمنعني من ذلك".

الحب الحقيقي يحدث سكونا ، وليس لوعة، يتيح لك أن تكون بسلام مع نفسك ومع ربك. ولهذا يقول الله تعالى(لتسكنوا إليها) أما الهوى فعكس ذلك تماما.

الهوى يجعلك شقيا، فهو تماما مثل المخدرات، ستتوق إليه دائما، ولكنك لن تكتفي أبدا. وحتى إذا استسلمت له، فلن يجلب لك السعادة.

على الرغم من أن السعادة القصوى هدفنا جميعا، إلا أنه في أغلب الأحيان يتعذر علينا الرؤيا بوضوح وسط الأوهام، والتميز بين الحب والهوى، هناك طريقة لا تحتمل الخطأ، بأن تسأل نفسك هذا السؤال: هل اقترابي من هذا الشخص الذي" أحب" يجعلني أقرب من – أو أبعد من- الله؟ أو بعبارة أخرى، هل هذا الشخص محل الله في قلبي؟

الحب الحقيقي ممكن فقط في حدود ما جعله الله مباحا، وما غير ذلك لاشيء أكثر من هوى، والذي إما سنخضع له أو نرفضه. فنحن إما عبيد لله و إما عبيد لهوانا، لا يمكن أن نكون عبيدا للاثنين معا.

صراعنا ضد المتع الزائفة ، هو الذي سيمكننا من الوصول إلى المتع الحقيقية، فهما أمران متضادان ، ولهذا السبب يصبح كفاحنا ضد شهواتنا شرطا أساسيا لبلوغنا الجنة. قال تعالى:(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فان الجنة هي المأوى)(النازعات:٤٠-٤١).

الحب في الهواء

على الأقل هذا ما يريد المعلنون أن تعتقده في فبراير. فبينما إظهارك الدائم لحبك يعتبر شيئا جميلا، يأتي (الفلنتاين) مرة واحدة في السنة، ويتركك دون خيار ، إما أن تظهر حبك، وإما أن تجازف بأن تكون ذلك الشخص عديم الإحساس. بالنسبة لأصحاب الورود وأسواق الحلويات.

وعلى الرغم من كونك في خضم هذه المشاعر المسوقة، فستجد صعوبة في التوقف عن التفكير فيمن تحب، بوصفنا بشرا ، خلقنا للإحساس بالحب والتعلق بالآخرين، فهذا جزء من طبيعتنا البشرية. ولكن في الوقت الذي نشعر فيه بهذه الأحاسيس تجاه شخص آخر، نلتقي خمس مرات يومينا مع الهنا وخالقنا، مما جعلني أسأل كم مرة شعرنا بأن العالم كله يختفي عندما نكون بحضرته. هل يمكن أن ندعي بأن حبنا لله أعظم من أي شخص أو شيء أخر؟

غالبا ما نتصور أن الله يختبرنا بالمصائب فقط، ولكن هذه ليست الحقيقة . الله يختبرنا بالرخاء، بالنعم ، والأشياء التي نحب،وغالبا ما يفشل الكثير منا في هذه الاختبارات.لأنه عندما ينعم الله علينا ،نحولها بجهلنا الى أصنام مزيفة لقلوبنا.

عندما ينعم الله علينا بالمال، نعتمد على المال بدل اعتمادنا على الله.ننسى أن مصدر زادنا لم ولن يكون المال بل اللذي أعطى المال.

عندما يمنحنا الله شخصا نحبه، ننسى أن الله هو مصدر هذه النعمة، ونبدأ بحب ذلك الشخص كما كان ينبغي أن نحب الله. ويصبح ذلك الشخص محور حياتنا،

يقول الله في وصفه هؤلاء الناس:(ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله واللذين أمنوا أشد حبا لله...) (البقرة :١٦٥).

بسبب قابليتنا للضياع بعد، أن يمنحنا الله النعم يحذرنا في القرآن بقوله:(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم و

إخوانكم وأزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (التوبة:٢٤)

من المهم أن نلاحظ أن حب كل ما ذكر في الآية السابقة مباح، وهي نعم بذاتها ومن جهة أخرى يحذرنا الله قائلا: (يا أيها اللذين أمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) (التغابن :١٤)

تم ذكر أزواجنا و أولادنا في هذه القائمة لأنهم من بين أكثر من نحب من هذه النعم، والاختبار الأعظم يكمن فيما تحب أكثر. فإذا كان نجاحنا في هذا الاختبار،يعني النظر من خلال عاصفة من بطاقات التهنئة والورد إلى حب أعظم ينتظرك ، فليكن كذلك. ومتى سيكون هذا الأمر أكثر أهمية؟

لأن بعد كل هذا ، فان الحب في الهواء.

هذا هو الحب

هناك آخرون يقضون حياتهم كلها في البحث. يعتقدون أن الحب مكان نصل إليه؛ وجهة في نهاية طريق طويل، ويتوقون إلى خط النهاية.هم تلك القلوب التي تتحرك بنبض القلوب. الرومانسيون. بالنسبة لهؤلاء ، البحث يتحول إلى نوع من الهواجس التي تلازمهم مدى الحياة، لكن هذا المطلب المأساوي الذي يسعون في طلبه له تكلفته وعطاياه أيضا.

طريق التوقعات والسقوط في " حب الحب"، طرق مؤلم، لكنه يأتي بدروسه. كل هذه الدروس تستطيع أن تمهد هذا الطريق المؤلم. وفوق كل شيء ، هذا الطريق يأتي بدروس عن خالق الحب.

هؤلاء الذين يسلكون هذا الطريق، سيتوصلون إلى معرفة أن الحب البشري الذي يبحثون عنه لم يكن هو الوجهة التي يقصدونها.بعض أشكال هذا الحب من الممكن أن يكون هبة، أن يكون وسيلة.لكن في اللحظة التي تجعله غاية ستسقط،وستقضي حياتك من أجل هدف خاطئ . ستبذل حياتك للوصول إلى وجهة من الكمال الدنيوي غير الموجود.
زمن يركض وراء سراب فلن يصل إليه أبدا. ستكون مستعدا لتحمل الأرق والحرمان من النوم، والبكاء والنزف والتضحية بأجزاء ثمينة من نفسك، وأحيانا، حتى كرامتك. ولن تصل إلى ما تبحث عنه في الحياة. يمكنك أن تجده فقط في اللّه.

صورة الحب البشري الذي تبحث عنه هو سراب في صحراء الحياة. فان كان هذا ما تبحث عنه فستظل لاهثا خلفه. مها اقتربت من السراب، فلن تلمسه، فأنت لا تملك الصورة، ولا تستطيع أن تمسك بشيء من نسج مخيلتك.

ومع ذلك تقدم حياتك كلها لبلوغ ذلك " المكان".تفعل ذلك لأن الحكاية في القصص الخيالية تنتهي باللقاء والألفة والعرس، اتحاد روحين. وكل من حولك سيجعلك تتخيل أن طريقك ينتهي هناك في تلك البقعة من الطريق التي ستتزوج فيها، وفقط عندها، سيخبرونك أنك ستصبح كاملا. بالطبع هذه أكذوبة، لأن الكمال لا يوجد في أي شيء غير الله.

لكن الدروس التي تعلمتها منذ طفولتك- بأنك لن تكون كاملا ما لم تصل إلى ذلك المكان، وبالتالي ان كنت –لا سمح الله- واحدا من" المنبوذين"الذين لم يتزوجوا أو تطلقوا ، فستعد معابا أو غير كامل في جانب معين.

الدرس الذي علمته،أن القصة تنتهي عند العرس، وحينها تبدأ حياتك في الفردوس. حينها ستنقذ وتصبح كاملا، وكل ما كسر سابقا سيجبر.المشكلة الوحيدة بأنها ليست نهاية القصة. هذه بدايتها. بداية بناء الحياة، شخصيتك، الصبر والصمود والتضحية، الإيثار، الحب.

بناء طريقك للعودة إلى الله.

لكن إذا أصبح الشخص الذي تزوجت هو الهدف النهائي في حياتك، فان مصاعبك تكون قد بدأت الآن،وسيصبح زوجك الاختيار الأعظم، سيستمر ألمك إلى أن تقوم بإبعاد هذا الشخص من المكان الذي ينبغي أن يكون مخصصا لله.

من الدروس الأخرى التي يمكن أن تدركها في هذا الطريق –بعد درب طويل من الفقدان والكسب،والخسارة والنجاح، والكثير من الأخطاء- بان هناك على الأقل نوعين من الحب، سيكون هناك أناس تحبهم من أجل ما تحصل عليه منهم؛والإحساس الذي يجعلونك تشعر به، ربما هذا النوع يمثل غالبية الحب،

وهو ما يجعل معظم الحب متقلبا،لأن قابلية الشخص للعطاء متذبذبة ومتغيرة،وكذلك تجاوبك.

لكن بين حين وآخر يدخل في حياتك أناس تحبهم- ليس لأجل ما يعطونك- ولكن لأجل ما هم عليه. الجمال الذي تراه فيهم، انعكاس للخالق، ولهذا تحبهم.فجأة، لم يعد يهمك ما يمكنك أن تحصل عيه، لكن ما يمكنك أن تعطيه. هذا هو الحب الايثاري. هذا النوع الثاني من الحب هو الأكثر ندرة، و إذا كان مبنيا على حب الله ولا يتنافس معه أحد، فانه سيجلب أيضا الكثير من السعادة. أن تحب بأي طريقة أخرى ، هو أن تكون محتاجا وتصبح متكلا ، وتكون لك توقعات وآمال – وتلك وصفة للتعاسة وخيبة الأمل.

فلكل من قضى حياته باحثا، اعلم أن نقاء كل شيء يوجد عند المنبع.فان كنت تبحث عن الحب، فابحث عنه من خلال الله.

عندما تبدأ برؤية كل شيء جميل وتجد بأنه مجرد انعكاس لجمال الله، سوف تتعلم كيف تحب بالطريقة الصحيحة: من أجله سبحانه. كل شيء، وكل من تحب،ستكون محبته قائمة على محبة الله وبسببه، فأساس هذا الحب هو الله، وبالتالي فان ما تتمسك به لن يصبح شعورا غير متزن أو انفعالا زائلا، وما تلاحقه لن يصبح نشوة وقتية. ما تتمسك به وما تلاحظه . سيكون هو الله؛ الوحيد المتزن و الدائم . وبعد ذلك، كل شيء آخر سيكزن من خلاله.

هذا يعني أنك تحب ما يحب وتبغض ما يبغض.وعندما تحب، ستعطي للخليقة ، ليس من أجل ما يمكن أن تأخذه منهم بالمقابل. ستحب وتعطي ، ويكون هو الكافي. ومن يكفه الله فسيكون أغنى وأكرم المحبين. سيكون حبك منه وله وبسببه. هذا هو إعتاق النفس من عبودية أي مخلوق. وهذه هي الحرية . هذه هي السعادة.

هذا هو الحب.

أحب ما هو حقيقي

ليس من السهل أبدا التخلي عن أمر ما. أم أن ذلك أمر ممكن؟
أحيانا نحب أشياء لا يمكن امتلاكها، و أحيانا نرغب في أشياء ليست في صالحنا، و أحيانا نحب ما لا يحبه اللّه. من الصعب التخلي عن هذه الأشياء. التخلي عن شيء يهيم به القلب هي واحدة من أصعب المعارك التي يمكن أن نخوضها . لكن ماذا لو لم تكن كذلك؟ ماذا لو لم تكن المعركة بهذه الصعوبة؟ هل هناك طريق أسهل للتخلي عما تعلقنا به؟ نعم هناك تجد شيئا أفضل.
يقال أنك لا تستطيع التخلي عن شخص حتى تجد شخصا أو شيء أفضل، وكوننا بشرا لا نستطيع التعامل مع الفراغ. فأي حيز فارغ يجب أن يملأ حالا . ألم الفراغ شديد للغاية.
في بحثنا حول تحرير القلب، نتكلم كثيرا حول كسر ارتباطاتنا المزيفة، حالما ينشأ ارتباط مزيف، كيف لنا أن نفر منه؟ كثيرا ما يبدو ذلك أمرا غاية الصعوبة. قد نصاب بالإدمان على أشياء، حتى عندما تفسد حياتنا وصلتنا مع اللّه، وحتى عندما تكون شديدة الضرر علينا. فإننا لا نستطيع التخلي عنها، فاعتمادنا عليها شديد ، وحبنا لها كبير وبالطريقة الخطأ. هذه الأشياء تملأ حيزا في داخلنا نظن أننا بحاجة اليه،لماذا يحدث هذا؟ لماذا يصيبنا اضطراب كبير عندما نضحي بما نحب من أجل ما يحبه اللّه ؟ لماذا يصعب علينا التخلي عن هذه الأشياء؟
أتصور أننا نقاوم كثيرا للتخلي عما نحب، لأننا لم نعثر على شيء نحبه بشكل اكبر ليحل محل ما أدمنا عليه.

عندما يقع طفل في حب سيارة، سيصبح مستغرقا في ذلك الحب، ولكن ماذا لو لم يتمكن من الحصول عليها؟ ماذا لو كان عليه أن يمر من أمام متجر الألعاب كل يوم ، ويرى اللعبة التي لا يستطيع الحصول عليها؟ كلما مر أمام المتجر تألم ، بل ربما سيقاوم رغبته في حيازتها حتى لا يقوم بسرقتها.لكن ماذا لو نظر هذا الطفل وراء نافذة المتجر. ورأى سيارة حقيقية؟ فيراري؟ هل سيستمر في الصراع مع رغبته في حيازة اللعبة؟هل سيستمر في مقاومة الدافع لسرقتها؟ أم سيسير بجانب اللعبة دون الاكتراث بها، لأن تفاوت العظمة يبطل الصراع؟

نحن نريد المال والمركز، نريد الحياة. ومثل ذلك الطفل نصبح مشغوفين بهذه المحبوبات. وعندما لا نتمكن من الحصول على تلك الأشياء، سنصير ذلك الطفل الذي يمر المتجر نصارع أنفسنا ؛ نصارع حتى لا نرتكب حراما من أجل الحصول على ما نحب. نقاوم كي نتخلى عن حب الدنيا. نحن العبد المتعثر الذي يصارع التخلي عن اللعبة . لأنها كل ما نراه.

هذه هي الحياة ، وكل ما فيها مثل تلك اللعبة. لا نستطيع التخلي عنها، لأنها لم تتمكن من العثور على شيء أعظم منها. لا نرى الشيء الحقيقي. النموذج الحقيقي.

يقول الله تعالى:(وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) (العنكبوت:٦٤).

عندما يصف الله هذه الدنيا، فانه يستعمل كلمة الحياة. ولكن عندما يصف عز وجل الآخرة ، فانه يستخدم صيغة المبالغة ل. كلمة الحياة(الحيوان). فالآخرة ، هي الحقيقة. ثم يختم الله تعالى بقوله: (لو كانوا يعلمون) إذا تمكنا من رؤية الشيء الحقيقي، فبإمكاننا التخلي عن حبنا العميق للنموذج المزيف الأدنى.

النسخة الحقيقية هي أفضل جودة. مهما كان حبنا لما قي هذه الحياة عظيما، فانه سيكون دائما ناقصا من حيث الجودة لاتسامه بالعيوب، وناقصا من حيث الكم لعدم ديمومته.

ما سبق لا يعني أننا لا نستطيع أن نملك أو حتى نحب الأشياء الموجودة في هذه الحياة، فقد أمرنا بوصفنا – مؤمنين- أن نطلب الخير في هذه الحياة، وفي الآخرة ، لكن الفرق بينهما بأن هناك نموذجا أدنى- (دنيا) مشتقة من جذر الكلمة (دنا) ومن معانيها (الأدنى)-؛ وهناك النموذج الحقيقي(الآخرة).

فكلما رأينا الشيء الحقيقي ، تيسر علينا ترك ما هو (غير حقيقي) عند الضرورة.لا يعني هذا أنه يجب علينا ترك ما هو غير حقيقي بشكل تام أو دائم.

لكن ذلك سيجعل علاقتنا مع النموذج الأدنى (الدنيا) علاقة نستطيع فيها التخلي عن أي شيء في الدنيا من أجل الحياة الحقيقية دون صعوبة بالغة. فإذا طلب منا أن نمتنع عن محرمات نرغب فيها، فان ذلك سيصبح أمرا سهلا، وكذلك الحال إذا طلب منا أن نتمسك بواجبات لا نريد تنفيذها.

فعلى سبيل المثال ، كان الكثير من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يملكون ثروات ، ولكن حينما لزم الأمر، كان من السهل عليهم أن يستغنوا عن نصفها أو كلها في سبيل الله.

هذا التركيز سيساعدنا أيضا في معرفة من يتوجب علينا أن نتوسل إليه طلبا للعون والرضا.فإذا كنا بحاجة ماسة الى شيء ما، ولم نر أو نعرف الملك، فإننا سنتضرع إلى الخادم فقط. لكن إذا كنا في طريقنا لمقابلة الملك، ومررنا بخادمه، فقد نقوم بتحيته ونحسن إليه، ولكن لن نضيع وقتنا في محاولة اكتساب رضا الخادم، في الوقت الذي يكون فيه الملك هو المتحكم. فسنعلم جيدا بأن القدرة على الأخذ والعطاء ستبقى في المحصلة النهائية بيد الملك وحده.هذا الفهم لا يأتي إلا عند معرفة الملك ورؤيته، وهو الذي سيغير تماما كيفية تعاملنا مع الخادم.

رؤية الشيء الحقيقي ستغير من طريقة حبنا. تعرض شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا المفهوم عندما قال:(ومن أعظم أسباب البلاء- يعني العشق- إعراض القلب عن الله ، فان القلب إذا ذاق طعم عبادة الله و الإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألذ و لا أمتع ولا أطيب، والإنسان لا يترك محبوبا إلا بمحبوب آخر يكون أحبه إليه منه أو خوفا من مكروه، فإنما يتصرف القلب عن الحب الفاسد بالحب الصالح أو بالخوف من الضرر".

واحد من أعظم المشاكل التي تواجهنا بوصفنا أمة هو ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: الوهن (حب الدنيا وكراهية الموت). لقد وقعنا في حب الدنيا، ومتى ما وقعنا في حب شيء ، فسيكون من المستحيل ترك ما نحب، والانفصال عنه ، إلا إذا وقعنا في حب شيء أعظم منه.

عندما يتجلى حب الله ورسوله وصحبته في الآخرة، فان ذلك الحب سيتغلب ويسيطر على كل حب آخر في القلب. وكلما تجلى ذلك الحب، زادت سيطرته، وأصبح من السهل تفعيل ما قاله إبراهيم عليه السلام:(قل إن صلاتي و نسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) (الأنعام: ١٦٢)

ولذلك فان القدرة على التخلي عن شيء ما، تكمن في الحب قع في الحب، قع في حب شيء أعظم، في حب الشيء الحقيقي، وانظر إلى القصر . حينها فقط ستتوقف عن اللعب في بيت الدمى.

الزواج الناجح: الحلقة المفقودة

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الروم:٢١)

كلنا قرأ هذه الآية في العديد من بطاقات الزواج، لكن كم منا حققها في الواقع؟ كم من زيجاتنا تجسد حقا المودة والرحمة اللتين وصفهما اللّه؟ ما الخطأ الذي يحصل ، والذي ينهي الكثير من زيجاتنا بالطلاق؟

وفقا للدكتور ايميرسون ايرك صاحب كتاب الحب والاحترام. الجواب بسيط. ففي كتابه يوضح أن بحوثا شاملة قد بينت أن حاجة الرجل الأساسية هي الاحترام، بينما حاجة المرأة الأساسية هي الحب.يصف ايميروس نموذج الجدال الذي ينتج عندما لا تبدي الزوجة احتراما، ولا يبدي الزوج حبا ، ويطلق عليه مصطلح "الحلقة المجنونة"، عندما تشعر الزوجة بأن تصرف زوجها غير ودود، فهي في أغلب الأحيان ستواجه ذلك بقلة الاحترام، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى دفع الزوج إلى التصرف بطريقة أقل ودا. يرى ايميرسون أن الحل الوحيد لكسر " الحلقة المجنونة" هو أن تبدي الزوجة احترامها غير المشروط لزوجها، وأن يبدي الزوج حبه الغير مشروط لزوجته.

بد تأمل ما ذكره الدكتور ، أدركت بعد التمعن في القرآن الكريم والحكمة النبوية بأنهما يشددان على مفهومين أكثر مما شددا في العلاقات الزوجية.

قال صلى الله عليه وسلم" أكمل المؤمنين إيمانا، أحسنهم خلقا، وخياركم خيارهم خيارهم لنسائهم" (سنن الترمذي).

ويقوا الله تعالى(..... وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (النساء: ١٩).

تحث جواهر الحكمة السابقة الرجال على ود زوجاتهم والإحسان إليهن، وفضلا عن ذلك في تدعوهم إلى غض الطرف عن عيوبهن و إظهار هذه المودة والرحمة. وفي المقابل عند توجيه الخطاب الى الزوجة، اختلفت نقطة التركيز. فلماذا لم يطلب من النساء المرة تلو الأخرى بأن يحبوا أزواجهم ويحسنوا إليهم؟ ربما لأن الحب الغير المشروط هو من طبيعة المرأة. قليل من الرجال يشتكي من عدم حب زوجاتهم لهم ، ولكن الكثير يشتكي من عدم احترام زوجاتهم لهم،وهذه هي العاطفة التي كثيرا ما شدد عليها القرآن والسنة عند مخاطبة الزوجات.

من الممكن إظهار الاحترام بطرق عديدة. من أكثرها احترام رغبات الآخر. فعندما يقول شخص" احترم نصيحتك"، فانه يعني بذلك أنه" سيأخذ بها" احترام القائد يعني فعل ما يقوله. قال الرسول صلى الله عليه وسلم(إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت) (الترمذي) . لماذا نحن النساء أمرنا باحترام وإتباع رغبات أزواجنا، السبب أن الرجال أعطوا درجات إضافية من المسؤولية ، قال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم.....) (النساء: ٣٤)

ولكن أليس الاحترام غير المشروط تجاه الزوج، يجعلنا- بوصفنا نساء- في موضع ضعف وخضوع؟

ألسنا بهذا نهيئ الظروف لكي يتم استغلالنا وإساءة معاملتنا؟

على النقيض من ذلك تماما.فقد أثبت القرآن الكريم والأحاديث والدراسات البحثية الحديثة العكس من ذلك تماما. فكلما أظهرت المرأة احتراما أكثر لزوجها، أظهر لها حبا وحنانا أكثر. وفي المقابل، فكلما أظهرت عدم احترام لزوجها، أصبح أكثر قسوة وأقل حبا.

وبالمثل قد يتساءل رجل ما ، لماذا يجب علي أن أظهر حبا وحنانا حتى لزوجة قليلة الاحترام لي؟ للإجابة عن هذا السؤال، يحتاج الشخص إلى النظرالى مثال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه.

فيحكى أنه جاء رجل إلى عمر" يشكو زوجته، فوقف ببابه ينتظره، فسمع امرأته تتطاول عليه بلسانها، وهو ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل قائلا: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكيف حالي، فخرج عمر فرآه موليا فناداه: ما حاجتك يا أخي؟ فقال جئت أشكو إليك خلق زوجتي وتطاولها علي، فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته، فكيف حالي، فقال عمر: تحملتها لحقوق لها علي، فإنها طباخة لطعامي، غسالة لثيابي،مرضعة لأولادي، وليس ذلك بواجب عليها، فأنا أتحملها لذلك.

تصور القصة مثالا لا يقدر بثمن عن التسامح والصبر، وهما ضروريان في أي زواج ناجح، وفضلا عن ذلك عليك بتدبير اجر الصابرين في الآخرة.

المصاعب

الملاذ الوحيد من العاصفة

ليس من السهل أبدا الوقوف عندما تضرب العاصفة، فسرعان ما يبدأ البرق. غيوم مظلمة تحل محل الشمس، وكل ما تستطيع رؤيته هو أمواج الشاطئ تلطم بك بعد أن كان هادئا. وعندما لم تعد قادرا على أن تجد طريقك، تبدأ بالاستنجاد بحراس الشواطئ، بلا جواب. تحاول ثانية إعادة توجيه نفسك عن قارب النجاة، فلا تجده، تحاول الوصول إلى سترة النجاة، فتراها ممزقة. الوسائل تحول وجهك إلى أعلى ، وتتضرع إلى اللّه.

ولكن ..هناك شي فريد يخص هذه اللحظة . فعلى الشاطئ لربما دعوت ودعوت آخرين كثرا. لربما اعتمدت على الله، ولكن في هذه اللحظة الفريدة، كل شيء آخر مغلق. كل شيء ولا شيء بقي لتعتمد عليه إلا هو عز وجل.

وتلك هي المسألة.

هل تساءلت يوما ما ،لماذا عندما تكون في أمس الحاجة، يكون كل الأبواب التي تقصدها مغلقة؟تطرق على واحدة تجدها ، مغلقة تماما، تنتقل إلى أخرى، ولكن بلا فائدة، لماذا يحدث هذا؟

نحن البشر لدينا سجايا معينة يعرفها الله تعالى جيدا،متسرعون وغير صبورين. عندما نكون في مشكلة،لماذا نقصد ملاذا إذا كان الجو مشمسا ولطيفا؟ متى يقصد أحدنا الله عندما تضرب العاصفة ؟ لهذا يرسل الله العاصفة، فهو يخلق الحاجة من خلقه نجبر على البحث عن ملاذ، ولكن عندما نطلب الغون من، بسبب قلة صبرنا مما يبدو سهلا. نطلبه مما نستطيع رؤيته وسماعه ولمسه، نبحث عن طرق نختصره، ونقصد الاستعانة بالخلق ومن ضمنهم أنفسنا، نبحث عن العون مما يبدو أقرب شيء إلينا.أليس كل هذا مجسدا لمعنى الدنيا؟ الدنيا نفسها تعني إما هو أدنى، هي ما يبدو أقرب ، ولكن هذا وهم فقط.

هناك شيء أقرب.

فكر للحظة لما هو أقرب إليك. إذا تم طرح هذا السؤال، فان الكثير منا سيقول إن القلب والنفس هما الأقرب، ولكن الله تعالى يقول(.....ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (ق :١٦) في هذه الآية يبدأ الله ببيان اطلاعه على صراعاتنا، وهناك شعور عندما نعرف بوجود من هو مطلع على صراعاتنا، هو يعلم ما تدعونا أنفسنا إليه، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد. لماذا حبل الوريد؟ هو أهم الأوردة التي تزود القلب بالدم، وإذا قطع سنموت حالا. هو حقا حبل حياتنا. لكن الله أقرب إلينا منه، من أهم ممر يمر إلى قلبنا.

ب إبقاءه أبواب جميع عليم بنا ، فانه يحمينا ويعيد توجيهنا ب وبما أن الله الملذات مغلقة أثناء العاصفة، فهو يعلم بأن وراء كل باب مزيف سقوطا، وإذا دخلناها سنسقط .ولهذا برحمته يبقي تلك الأبواب مغلقة.

ليس من السهل أبدا الوقوف عندما تضرب العاصفة. وتلك هي المسألة تماما، بإرساله سبحانه الرياح، يجعلنا نجثو على ركبنا، وتلك هي الوضعية الأمثل للدعاء.

رؤية منزلك في الجنة:عند طلب العون الإلهي.

أعرف قصة ليست مجرد قصة، تبدأ مع امرأة أحبت شيئا أكبر من بهارج الدنيا. حملت في نفسها قدرا من الإيمان العميق الذي كانت مستعدة للموت من أجله. لقد كانت ملكة، وعلى الرغم من ذلك رأت زيف عروش هذه الدنيا وقصورها. وتطلعت بلا منه إلى قصرها في الآخرة. ولكن بالنسبة لآسيا ، زوجة فرعون لم تكن رؤية مجازية فقط في القلب، كانت تراها بعينيها الحقيقيتين، يقول تعالى(وضرب

الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت ربي ابن لي عندك بيت في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) (التحريم:١١).

سمعت بقصة آسيا مرات عدية،تهزني كل مرة . لكن مؤخرا هزتني لسبب آخر تماما. قبل بضعة أشهر واجهت اختبار صعبا، طلبت أعظم هدية ممكن لإنسان أن يعطيها لآخر، طلبت دعاء مخلصا. تضرعا! لكن ما تلقيته بهرني؛ لن أنسى أبدا هبة الله هذه.كان لدي ناس يدعون لي في قيام الليل، وأثناء وقوفهم أمام الكعبة،وسفرهم، وحتى أثناء الولادة. تلقيت الكثير من الدعوات، لكن واحدة منها بهرني حقا. كانت رسالة نصية بسيطة،ونصها" عسى أن تري بيتك في الجنة، كي تسهل عليك كل شدة".

حينها تذكرت قصة آسيا، وفجأة أدركت شيئا مذهلا؛ كانت تحت أشد أنواع العذاب التي يمكن أن يتصورها إنسان! كان فرعون أكبر طاغية على وجه الأرض!لم يكن فقط الحاكم عليها، بل كان زوجها، وفي لحظاتها الأخيرة بدأ تعذيبها بوحشية، ولكن حدث شيء غريب ، ابتسمت آسيا.كيف يمكن لها أن تبتسم، وهي في أشد حالات العذاب؟

كيف استطاع إبراهيم عليه السلام مواجهة واحدة من أعظم المصائب ، ومع ذلك كانت النار بردا وسلاما عليه؟لماذا لا يجد بعض الناس الذين لا يملكون شيئا ، سببا للشكوى ؛ بينما آخرون يملكون كل شيء ولا يجدون إلا أسبابا للتذمر؟

كيف نكون أحيانا أكثر صبرا عند مواجهتنا للتحديات الكبيرة في الحياة في الوقت الذي نفقد فيه صبرنا عند مواجهة أبسط التحديات اليومية، كنت أعتقد أن المصائب صعبة،لأن هنالك أشياء معينة يصعب احتمالها. مثلا موت عزيز، يكون تحمله دائما أصعب من الحصول على مخالفة مرورية.

المصيبة من أي نوع ، ليست صعبة التحمل. معيار سهولة أو صعوبة المصيبة يقاس بميزان مختلف، ميزان غير مرئي.فالسهولة والصعوبة تعتمد على درجة

العون الالهي. لا شيء يسهل علي الا اذا جعله الله سهلا، إلا إذا جعله الله سهلا. لا اختناق مروري، ولا خدش بسيط. لا مرض ولا موت ، ولا قذف في النار، أو تعذيب من قبل طاغية.

قذف إبراهيم في النار. لكن لا يوجد شخص لن يرمى في نوع من أنواع النيران المعنوية، نفسية أو اجتماعية في حياته،و يجب علينا ألا نظن للحظة أن الله تعالى غير قادر على أن يجعل هذه النيران باردة علينا، آسيا عذبت جسديا لكن الله جعلها ترى بيتها في الجنة؛و لهذا ابتسمت، أعيننا الطبيعية لن ترى الجنة في هذه الحياة، لكن إن شاء الله فقد ترى بصيرة قلوبنا الجنة، وحينها تصبح كل صعوبة سهولة.

إذا المشكلة ليست في المحنة نفسها، ليست في الجوع والبرد، المشكلة تكمن فيما إذا كانت لدينا المعدات الضرورية التي نحتاجها عندما يأتي الجوع والبرد. فان امتلكناها فلن يمسنا، ولن يؤلمنا جوع ولا برد. المشكلة عندما يأتي الجوع ، وليس لدينا طعام. وعندما تأتي العاصفة الثلجية وليس لدينا ملجأ.

حقا ان الله يرسل المحن، لكي نتطهر ونتقوى ونرجع إليه، وفي الوقت ذاته يرسل الطعام والملجأ، الله يرسل الاختبار، ومعه يرسل الصبر- وحتى الرضا- لمقاومته. يختبر الله من يحب على درجة إيمانه، لكن مع الاختبار، يرسل الله عونه الإلهي كي يصبح كل اختبار سهل . يرسل عونه الإلهي كذلك، حيث نظرة واحده إلى نوره، والى الجنة التي معه تجعلنا نبتسم حتى ونحن في وسط نيران الجنة.

.

الأذى من الآخرين : كيف نتحمله ونشفى

عندما كنت في مقتبل العمر ، كان العالم في نظري مكانا رائعا. ولكن المشكلة الوحيدة أنه لم يكن كذلك. كنت أظن أن كل شيء يمكن أن يتم دائما بشكل

"عادل" يعني أن لا أحد يجب أن يظلم، وإذا ظلموا ، وجب أن تتحقق العدالة. حاربت وفق اعتقادي.لكني غفلت عن حقيقة جوهرية تتعلق بهذه الحياة، ففي مثاليتي الطفولية تعذر علي إدراك أن العالم في ذاته غير كامل.نحن بوصفنا بشرا غير ، غير كاملين في ذاتنا، وبالتالي سنرتكب الأخطاء، سنؤذي الآخرين حتما، بعلمنا أو بدون علمنا، بقصد أو بدون قصد، فلن تتحقق العدالة التامة في هذا العالم.

هل هذا يعني أن نتوقف عن الصراع ضد الظلم، أو نتخلى عن الحق؟ بالطبع لا،يجب علنا أن لا نضع العالم والآخرين في معيار غير واقعي. ولكن هذا لن يكون سهلا دائما، حيث يحبطنا الناس، بما فيهم أسرتنا التي تكسر قلوبنا، وربما أصعب ما علينا تعلمه كيف نتعلم أن نصفح عندما نظلم؟ كيف نصبح أقوياء بدون أن نكون قساة، ومتى نتمسك ومتى نتجاوز؟ متى يكون الاهتمام متجاوز عن الحد؟ وهل هناك شيء يمكن وصفه بأنه حب أكثر مما ينبغي؟

لكي نبدأ بالإجابة، يجب علينا أن نخطو خطوة خارج حياتنا.نحتاج أن نستقصي فيما إذا كنا أول أو آخر من شعر بألم أو تعرض لظلم.ننظر الى الذين سبقونا لنتدارس صراعاتهم وانتصاراتهم، ونميز أن النمو لا يأتي بون معاناة، والنجاح هو فقط ثمرة الصراع.

استعادة الأمثلة المنيرة للرسول صلى الله عليه وسلم ستذكرنا أن ما نشعر به من ألم ليس حالة فريدة. تذكر أن النبي نوح عليه السلام أوذي من قومه ل٩٥٠ سنة يخبرنا القران الكريم (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر) (القمر:٩) أوذي كثيرا حتى اضطر لمناداة ربه أخيرا(..... أني مغلوب فانتصر) (القمر :١٠).

عندما أخبر الله الملائكة بأنه سيخلق البشرية، كان سؤالهم الأول عن قدرة البشر على إلحاق الأذى.

ان قدرة البشرية على ارتكاب جرائم وحشية بعضهم ضد بعض، وعلى الرغم من ذلك، فالكثير منا يعد محظوظا، فمعظمنا لم يقدر له مواجهة نفس النوع من المصائب التي تحملها الآخرون عبر الزمان، ومع ذلك هناك القليل منا الذي باستطاعتهم القول بأنهم لم يتعرضوا لأي أذى مطلقا.

هل من الممكن أن نتجنب ذلك، ممكن الى حد ما. بتعديل توقعاتنا وردة فعلنا وتركيزنا، نستطيع أن نتجنب الكثير من الدمار، على سبيل المثال، وضع ثقتنا واعتمادنا وأملنا على شخص آخر أمر غير واقعي، وفي غاية الحمق. ينبغي علينا أن نتذكر أن البشر غير معصومين، ومن ثم ينبغي علينا أن نضع ثقتنا التامة الكاملة واعتمادنا و أملنا في الله.

هذا لا يعني أن لا نحب أو نحب بدرجة أقل ، ينبغي أن يكون الله أسمى ما نحب، ولا نتعلق بشيء أكثر منه، بحيث يصبح من المستحيل الاستمرار في هذه الحياة بدونه هذا النوع من" الحب" ليس حبا .عبادة ولن ينتج عنها سوى الألم.

لكن ماذا يحدث إذا فعلنا كل ما يتوجب علينا ، ومع ذلك تعرضنا إلى أذى أو ألم؟

هناك مثال جميل في قصة أبي بكر . بعد أن افترى على ابنته عائشة ، وجد أن أحد الذين تناقلوا الشائعة هو مسطح بن أثاثة، وكان أحد أقربائه ويدعمه ماديا. فتوقف عن الصدقة التي كان يعطيها له. ولكن بعد فترة قليلة أنزل الله﴿ولا يأتل ألو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ (النور:٢٢) وفور سماعه للآية حرص على نيل المغفرة من الله فلم يكتف بما يعطيه سابقا بل زاد في العطاء.

استعداننا للتسامح يجب أن ينبع من إدراكنا لعيوبنا وأخطائنا تجاه الآخرين.

وفوق كل شيء يجب أن ينبع تواضعنا من حقيقة كوننا نعصى اللّه في حياتنا،

فمن نحن مقارنة به؟ وعلى الرغم من ذلك يغفر ذنوب عباده في الليل والنهار،

فمن نحن حتى نمتنع عن الصفح؟ إذا كنا نأمل أن يغفر لنا، فكيف لنا ألا نسامح

الآخرين؟ أملنا في تلقي رحمة اللّه تعالى سيعم رغبتنا في التسامح مع الآخرين ؛

ولعلنا يوما ما – برحمته تعالى- ندخل إلى العالم الوحيد الكامل حقا.

حلم الحياة

كان حلما فقط. يباغتني للحظة، ولكن العذاب الذي أحس به في كابوسي وهم فقط. انه عذاب مؤقت يحدث في طرفة عين ! لكن ، لماذا أحلم؟لماذا يجب علي أن أحس بذلك الفقدان والخوف والحزن في منامي؟

لماذا نعاني؟ لماذا تحدث الأشياء السيئة للصالحين؟ كيف يكون هنالك اله. إذا كان الأطفال الأبرياء يجوعون والمجرمون ينطلقون أحرارا؟ كيف يكون هنالك اله ودود وقوي ويسمح بمثل هذه المصائب بأن تقع؟

إذا كان اللّه حقا عادلا منصفا. ألا ينبغي أن تحدث الأشياء الحسنة للصالحين فقط، والأشياء السيئة للصالحين فقط؟

حسنا، الجواب هو: نعم. طبقا، لأن اللّه هو العدل الودود، فلا نقص في علمه أو فهمه.

المشكلة تكمن فيما لدينا نحن من نقص في علمنا و فهمنا.

لكي نفهم العبارة، يجب أن نعرف " الحسن" و"السيئ" فعلى سبيل المثال، أكثر الناس سيوافقون على أن نجاحك في الوصول إلى نتيجة أو هدف ترغب فيه، سيكون أمرا حسنا. من جهة أخرى، الفشل في الوصول إلى الهدف أو النتيجة المأمولة سيكون أمرا سيئا. فإذا كان هدفي زيادة وزني لأني نحيفة إلى حد الخطورة ، فستكون الزيادة أمرا حسنا. ومن جهة أخرى، إذا كان هدفي أن أفقد وزني لأني بدينة لدرجة تجلب الضرر، فستكون زيادة وزني أمرا سيئا. فالحالة نفسها قد توصف بالحسن أو السوء بناء على هدفي المقصود.فمن ثم " الحسن" في نظري يتوقف على مدى تحقيقي لهدفي.

لكن ما هو هدفي؟

هناك نظرتان أساسيتان مختلفتان للعالم، فيما يخص الهدف من الحياة. النظرة الأولى مبنية على أن هذه الحياة هي الحقيقة و المقصد النهائي والهدف الأساسي لسعينا. أما النظرة الثانية فمبنية على أن هذه الحياة مجرد جسر، ووسيلة لا تزيد على كونها طرفة عين في سياق الوجود الأبدي للّه.

هاتان النظريتان المتميزتان للعالم هما اللتان تحددان الهدف.إذا آمن أحدنا أن الحياة هي الحقيقة و المقصد النهائي والهدف الذي نسعى إليه، فسيكون هدفنا في الحياة الحصول على أكبر قدر من المتعة، وتحقيق أكبر قدر من الربح.

في النظرة الثانية للعالم(النموذج الإسلامي): الهدف هو من الخلق ليس هو الحصول على الحد الأقصى من المتعة أو الربح في هذه الحياة ؛ هي مجرد حلم.في هذه النظرة يبن اللّه الهدف بقوله: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(الذاريات:٥٦) يبدأ اللّه بنفي كل الأهداف قبل أن يذكر الهدف الوحيد: (ليعبدون). ما سبق يعني : كوني مؤمنة يجعلني أعلم أنه لا يوجد هدف لوجودي غير معرفة اللّه وحبه والتقرب منه سبحانه. هو هذه أهم حقيقة يتوجب علي إدراكها، لأنها تحدد كل شيء آخر أؤمن به.

وبالعودة إلى " معنى الحسن" و" السيئ". سنجد أن كل شيء يقربنا إلى هدفنا الأسمى هو حسن ، وكل شيء يبعدنا هو سيء، من وجهة النظر الجوهرية.أما من وجهة النظر النسبية، فبالنسبة لهؤلاء للذين هدفهم هو هذا العالم المادي، ستكون الأشياء المادية هي التي تحدد الحسن والسيئ. فالحصول على الغنى والمرتبة والشهرة والعقارات، حتما سيعد من الأشياء " الحسنة" وبالمقابل فان فقدانها،حتما سيعد من الأشياء السيئة.لكن هذا هو الوهم الذي يأتي من نظرة مغلوطة للعالم، فعندما تكزن العدسة نفسها معيبة، كذلك سيكون حال الصورة التي سترى من خلالها.

بالنسبة لأصحاب النظرة الثانية، فان أي شيء بقربنا لهدفنا المتمثل في القرب من اللّه، فهو حسن، وكل شيء يبعدنا فهو سيئ، قد يكون خسارتي لوظيفتي وكل ثروتي وحتى إصابتي بالمرض أعظم نعمة منحت لي، إذا كانت تقربني إلى اللّه، هدفي الأسمى قال تعالى(كتب علكم القتال و هو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم واللّه يعلم و أنتم لا

تعلمون) (البقرة: ٢١٦) فبوصفي مؤمنة، معياري شيء أعلى ما أملك وما لا أملك من الناحية المادية مهم فقط بدرجة تقربي أو إبعادي عن اللّه.تصبح هذه الدنيا لاشيء أكثر من حلم عشته للحظة وصحوت منه، وكونه حسنا أو سيئا يتوقف على ما تكون عليه حالتي عندما أصحو.

وبالتالي فبحسب المقياس الجوهري هنالك عدالة تامة فان اللّه يعطي الشيء الحسن(القرب منه) و السيئ(البعد عنه للصالحين) ولهذا قال الرسول(عجبا لأمر المؤمن كله خير . وليس ذاك إلا للمؤمن، إن أصابه خير فشكر كان له خير، وان أصابه شر فصبر كان له خير) (صحيح مسلم).

يبين الحديث أن ما هو حسن يعرف بحالة الحسن الداخلية التي تنتج: من الصبر والامتنان، وكلاهما تجسيد لإحساس الأمان مع اللّه والقرب منه.

بالمقابل، الكارثة العظمى هي البعد عن اللّه في هذه الحياة والآخرة.

الحياة الأبدية هي التي تبدأ حينما نستيقظ من هذا العالم، وفي هذه اليقظة سندرك ..... أنه مجرد حلم.

أبواب مؤصدة والأوهام التي تعمينا

البارحة أراد ابني- الذي بلغ من العمر ٢٢ شهرا- أن يمارس استقلاله. بعد تسلقه خارجا من مقعده في السيارة، أراد أن يغلق بابها متشبها بالكبار، فوقفت أراقبه، مدركه أنني إذا تركته فيضرب رأسه الصغير بعنف، فرفعته بعيدا عن الباب.أحبطه فعلي هذا ، فأجهش بالبكاء. كيف لي أن أمنعه من فعل ما أراد بإلحاح؟

عند مشاهدتي لهذه الحادثة ، تذكرت كل المواقف المتشابهة، عندما نريد شيئا بإصرار، ولا يسمح لنا الله بأخذه. عندما لا تسير الأمور كما نريد، أصبح عندي الأمر واضحا. أبعدت ابني عن الباب كي أحميه فقط ولكن كان جاهلا؛ ومثلما بكى ابني بسذاجة و براءة، كثيرا ما تحسرنا على أحداث كانت في الحقيقة سببا في إنقاذنا.

على سبيل المثال عندما نجد أنفسنا غير قادرين على الزواج من الشخص الذي نريد، هل توقفنا للتفكير في احتمالية كون ذلك صالحا لنا ؟ يقول تعالى(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خيرا لكم وعسى أن تحبوا شيئا و هو شر لكم و الله يعلم وأنتم لا تعلمون)(البقرة :٢١٦).

ومع ذلك بات من الصعب جدا النظر إلى ما وراء ظاهر الأشياء. ستحتاج قوة عظيمة لكي ترى ما وراء الوهم، إلى الحقيقة الأعمق، والتي ربما نفهمها او لا؛ نحن في أغلب الأحيان عميان عن كذلك.

ونتيجة لعمانا، ينتهي بنا الأمر إلى النظر باستمرار إلى الأبواب المؤصدة في حياتنا، وننشغل عن ملاحظة الأبواب التي فتحت؛ فعندما لا نتمكن من الزواج من الشخص الذي يشغل بالنا ، نعمى عن رؤية من هو حقا أفضل لنا، إذا لم نكن على استعداد للنظر إلى ما وراء ذلك . فكثيرا ما يأخذ الله منا أشياء ليستبدل بها ما هو أعظم.

حتى المأساة تحصل بهذه الطريقة.لا يستطيع شخص تصور مأساة أكثر إيلاما من فقدان طفل، ومع ذلك حتى الفقدان قد يحدث كي ينقذنا ويمنحنا شيء أعظم .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم" إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون : نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون : نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد" جامع الترمذي

فعندما يأخذ الله منا شيء نحبه بشدة ، فقد يكون أخذه ليمنحنا شيئا أفضل، وربما يكون الفقدان سبب لدخولنا الجنة، وحياة أبدية مع طفلنا الذي فقدناه، وخلافا لحياتنا هنا، حيث لا يشعر طفلنا بألم ولا خوف ولا مرض.

أما في حياتنا المادية، فحتى إصابتنا بالمرض قد لا تكون مثلما تبدو عليه حقا، فمن خلالها قد ينقينا الله من ذنوبنا، قال صلى الله عليه وسلم(ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها، الا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها) صحيح(البخاري).

ولكن ربما لا يوجد مثال أفضل من قصة موسى والخضر عليهما السلام، عندما سافر موسى مع الخضر ، أدرك موسى أن الأشياء في أغلب الأحيان ليست كما تبدو ، وأن حكمة الله أحيانا لا تدرك من ظاهرها. وصل الخضر والنبي موسى إلى مدينة ما، و عندئذ بدأ الخضر بإعطاب قوارب الناس ، كفي الظاهر كان هذا الفعل مؤذيا لملاك القوارب، ولكن بين الخضر لاحقا أنه كان يحميهم ويحفظ لهم قواربهم؛ حيث جعل قواربهم غير مرغوبة للملك الذي كان يأخذ القوارب غصبا. وهذا ما يحدث أحيانا في الحياة، فمن أجل إنقاذنا ، يؤخذ منا شيء، أو يمنح لنا بطريقة لا نرغب فيها، ولكن بالنسبة لنا- كما بدت لطفل يبلغ من العمر ٢٢ شهرا- يبدو الأمر كأنه باب موصد فقط.

الألم ، والفقدان والطريق إلى اللّه

مازلت أتذكر اليأس! ففي خيبة الأمل العميقة توجهت الى خالقي متضرعة، ومتوسلة، لكن ليس رغبة فيما يمكن أن يقاس أو يشترى أو يباع أو يقايض، بل رغبة في عملة أكثر مصداقية، ومع تجلي عيوبي لي، أصبحت بحاجة ملحة إلى التحرر من طغيان نفسي.بحاجة ملحة إلى أن أصبح شخص أفضل.

ومن ثم قدمت قلبي إلى اللّه ودعوته لعلي أتطهر. وعلى الرغم من إيماني الراسخ بأن اللّه سميع الدعاء، لم أكن أتصور أبدا، متى- او كيف- ستستجاب هذه الدعوة.

وبعد ذلك الدعاء بقليل، واجهت واحدة من أصعب التجارب في حياتي. أعددت نفسي ، ودعوت طالبة لهداية و القوة. لكنني لم أر أبدا أي رابط بين دعائي هذا ودعائي السابق. ولم أدرك ذلك إلا بعد مرور فترة من الزمن، بعد استرجاعي تلك التجربة تبين لي كم نضجت، و فجأة تذكرت دعائي الأول، وحينما أحسست أن تلك الشدة التي مررت بها كانت جوابا لذاك الدعاء.

كلمات جلال الدين الرومي التي تصف تلك الحالة بشكل جميل : " عندما يضرب أحدنا السجادة بقطعة من الخشب،فليس قصده ضرب السجادة، إنما قصده نفض الغبار عنها . نفسك مليئة بالغبار المتراكم من حجاب الأنا، و هذا الغبار لا يمكن

نفضه مرة واحدة. مع كل قسوة وكل ضربة ينفض الغبار شيئا فشيئا عن وجه القلب، أثناء نومنا أحيانا، وخلال صحوتنا في أحيان أخرى".

كثيرا ما تمر بنا تجارب في هذه الحياة ، ولا نرى الرابط بينها. فعندما نواجه صعوبة أو نشعر بألم ، كثيرا ما نفشل في أخذه بعين الاعتبار أن هذه التجربة قد تكون السبب المباشر أو النتيجة لتصرف أو تجربة أخرى. أحيانا لا نستطيع أن ندرك الصلة المباشرة بين معاناتنا في الحياة وعلاقاتنا مع الله.

ذلك الألم، وتلك المحن. تخدم أغراضنا كثيرة في حياتنا، فأوقات الشدائد في هذه الحياة يمكن أن تكون مثل إشارة تنبيه، فضلا، عن كونها علاجا لعلاقتنا المنقطعة مع خالقنا.

في أوقات الشدائد يختبر إيمانا وشجاعتنا و قوتنا. فالمحن تنزع أقنعتنا ، وتكشف حقيقة إيماننا، و الشدائد تميز بين من كانت شهادة إيمانه حقيقة، زمن كانت شهادته مزورة.

ان الصعوبات هي اختبار لنا ، وقد تكون نعمة وعلامة على حب الله لمن ابتلي، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم" اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا" (صحيح البخاري).

ومع ذلك لا يستطيع الكثير منا أن يفهم كيف أن الشدائد قد تكون نعمة.

والكثير لا يستطيع أن يوقن أن بأن الشدائد هي في الحقيقة وسيلة للتطهير و التنقية؛ وهي التي ترجع الناس إلى ربهم.

هذه الشدائد كما نتصورها نحن هي في حقيقة الأمر مكالمات تنبيه من السبات، تجعلنا أكثر تواضعا، وتهزنا وتذكرنا بضالتنا وبعظمة الله وبهذه الطريقة توقظنا

من غفوتنا وطيشنا و تشددنا، وترجعنا إلى خالقنا. فالشدائد تنزع غطاء الراحة عن أعيننا؛ وتذكرنا بمن نكون وأين نحن ذاهبون.قال تعالى(و بلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)(الأعراف:١٦٨).

كيفية تجاوب المؤمن مع الشدائد

بالنسبة للمسلمين، هذا هو زمن الاضطرابات، لذلك في كثير من الأحيان من الصعب ألا نشعر باليأس. لماذا يحدث لنا هذا؟كيف يمكن أن يحدث هذا لنا ونحن لم نخطئ؟ كيف يمكن لنا أن نواجه الكثير من التمييز في البلد ذاته الذي أقيم على " الحرية" و " المساواة" و " العدالة" للجميع؟

على الرغم من كون هذه الخواطر طبيعية، فإننا نحتاج إلى النظر إلى ما وراءها.

هذه الحقيقة الجوهرية هي :كل ما في هذه الدنيا امتحان، يقول اللّه تعالى(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا و هو العزيز الغفور) (الملك:٢).

فكر للحظة في صفارة الإنذار. ما هو الهدف منها؟ هي إشارة تحذير أن هنالك شيئا مؤذيا سيأتي. بالطبع ستصاب بالذعر إذا سمعت صوتها،ماذا يحدث إذا كان تشغيلها مجرد تدريب فقط، عند اختبارها هو الصوت ذاته ولكنه" مجرد اختبار" مع أنه في ظاهره يعطي صوتا وإحساس حقيقيين، إلا أنه ليس كذلك.هذا تماما ما يخبرنا اللّه به عن هذه الحياة . تبدو – شكلا و صوتا و شعورا- حقيقية، حقيقية جدا . أحيانا ستخيفنا، و أحيانا ستجعلنا نبكي، أحيانا أخرى تجعلنا نهرب بدلا أن

نقف بثبات في أماكننا، إنها في الواقع ليست حقيقية. فهي مثل اختبار صفارة الإنذار؛ تدربنا على ما هو حقيقي، للاستعداد للحقيقة التي تكمن وراء صفارة الإنذار.

الآن ماذا يحدث إذا كان اختبار صفارة الإنذار غير مفاجئ؟ ماذا لو أعطي كل منزل إشعار بوقت الاختبار؟ فكر للحظة ببلاغ اللّه(لنبلون في أموالكم و أنفسكم و لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) (آل عمران:١٨٦)

الآن تخيل ، فضلا عن هذه البلاغات، قد أعلمنا عن مجتمعات لا تعد ولا تحصى مرت باختبارات متشابهة. لم يتم التنبؤ بصفارة الإنذار فحسب ، بل عرفنا أنها ليست حثا جديدا، كيف ستكون استجابتنا عند إطلاق صفارة الإنذار؟ بالطبع، إذا كانت لغرض التدريب، فلن تكون هناك حالة من الصدمة أو عدم التصديق، و لن نهلع أو نحبط. لكننا على الرغم من ذلك نتجاوب مع الصفارة.

وهنا يكمن الجزء المهم من المسألة. من الذي نتجاوب لأجله؟ من الذي يختبرنا؟ نحن نتجاوب لحكم واحد فقط، لأجل الواقع الحقيقي الوحيد (اللّه الخالق). عندما ندرك هذه الحقيقة الجوهرية، سيحدث شيء مذهل، حالما نستوعب أنه اختبار، ستتغير أسئلتنا تماما.ستصبح: كيف ستكون استجابتي؟ كيف يمكنني اجتياز هذا الاختبار؟ مالذي يتحتم علي تعلمه؟

" كيف لنا أن نستخدم الاختبار كي نحقق الهدف الذي وضع من أجله: أداة تجعلنا أقرب الى اللّه؟ اللّه أكبر.

ما هو جميل في اختبارات اللّه هو أنه بعد إعلامنا بقدومها، يعطينا الوصفة الدقيقة لاجتياز تلك الاختبارات بنجاح: الصبر والتقوى.

يقول تعالى(و الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، لنبلون في أموالكم وأنفسكم و لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) (آل عمران :١٨٥،١٨٦).

لم يأت تجاوبهم من النظر إلى الاختبار نفسه بل كان نابعا من النظر إلى ما وراءه، أيقنوا أن اللّه لم يكن هو معطي الاختبار فحسب، بل كان هو وحده من يمكن أن ينقذهم منه. ومن ثم تضرعوا إليه ملتمسين العون من خلال الاستغفار و الصبر و التقوى.

عندما نغير العدسة التي نرى من خلالها حياتنا ، ستتغير ردود أفعالنا الداخلية والخارجية، فعندما اختبر أسلافنا الصالحون ، لم يزدهم ذلك إلا إيمانا وطاعة.

يروي لنا القرآن الكريم: (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا اللّه ورسوله وصدق اللّه ورسوله وما زادهم إلا إيمانا و تسليما) (الأحزاب: ٢٢).

و لكن إلى أن نغير تلك العدسة، لن نستطيع النظر إلى ما وراء السؤال الذي سبق طرحه" لماذا يحدث لنا هذا؟ ولن نستطيع إدراك الهدف الحقيقي من الاختبار نفسه: أداة خلقت كي تطهرنا، وتقوينا وتقربنا إلى خالقك وخالقي وخالق كل أعدائنا.

هذه الحياة :سجن أم فردوس؟

كنت في المطار واقفة في طابور التفتيش أنتظر مراسيم استجوابي وبينما أنا واقفة هناك. لفت نظري طفلة كانت مع أمها، وكان من الواضح أنها مريضة. مدت الأم يدها الى الحقيبة كي تعطيها شيئا من الدواء. صدمني ما كانت تبدو عليه الطفلة من بؤس، شعرت بأني أنظر الى شخص حبيس، هذه الروح البريئة كانت أسيرة لجسم دنيوي، يتحتم عليه أن يمرض ، و يتألم و يعاني.
عندها تذكرت حديث الرسول صلى اللّه عليه وسلم(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) (صحيح مسلم)
و فجأة شعرت أني أرى حقيقة هذا الحديث في هذه البن الصغيرة، وكأني رأيت روحا مأسورة لأنها تنتمي لعالم آخر- عالم أفضل- حيث لا مرض و لا معاناة.
ماذا يحدث عندما تتخيل هذه الروح أنها حقا في جنة؟ عنها هل تود هذه الروح أن تكون في مكان آخر؟ لا ، انها تماما في المكان الذي تود أن تكون فيه. لا يوجد شيء " أفضل" مما هي فيه الآن، فحينما تتخيل وجودك في مكان رائع فانك لن تتمنى شيء أكثر، وستكون راضيا بما أنت فيه. هذه هي حالة الكفار. يقول تعالى(ان الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون) (يونس:٧).

بالنسبة لهذه الروح غير المؤمنة؛؛ هذا العالم الحتمي المؤلم، و المحبط ، و المؤقت ، هو جنتها، هو كل ما تعرفه.

الشخص الذي يؤمن بأن هذا العالم هو أفضل ما يمكن- سيصبح عديم الصبر عندما لا تكون الحياة مثالية. الذين يفترضون أن هذه الحياة هي الجنة سيغضبون بسرعة وينهارون ان لم تكن كذلك. و لا يدركون بأن هناك شيء أعظم، روحهم معلقة بجسدهم الدنيوي لظنهم أن هذا الجسد هو جنتهم الوحيدة التي يحوزونها،و يريدون التشبث بها بأي ثمن. أن تنزع الروح من جنتها عند الموت هو أعظم عذاب. يصف الله موت الكفار(والنازعات غرقا) (النازعات:١).

أما بالنسبة للروح المؤمنة؛فالأمر مختلف. المؤمن في سجن- و ليس جنة- لماذا؟ من هو السجين؟ السجين هو شخص مأسور. السجين من قيد وأبعد عن بيته في الوقت الذي يتوق فيه لأن يكون في مكان أفضل- الجسد الدنيوي هو سجن المؤمن، ليس لأن الحياة بائسة بالنسبة للروح المؤمنة، و لكن لأن تلك الروح تتوق الى تكون في مكان أعظم للعودة الى مسكنها. فمهما كانت هذه الحياة رائعة فهي تعد سجنا مقارنة بالحياة الكاملة التي تنتظره، لأن تعلق الروح يكون بالله والجنة الحقيقية التي معه.علاقة الروح المؤمنة ليست بالجسد المقيد.عندما تنتهي المدة و يبلغ السجين بإمكانية رجوعه لمسكنه لن نتمسك أبدا بقضبان السجن. يصف الله موت المؤمن يقول(و الناشطات نشطا) (النازعات:٢).

فالروح المؤمنة تنساب بسهولة من الجسد عند نهاية" مدة سجنها" وتتوجه الآن إلى مساكنها. لن تتشبث مثل الروح الكافرة التي ظنت أنها أفضل ما يمكن أن تحصل عليه.

والسؤال هو ، هل سنعيش حياتنا بطريقة تجعلنا نتمسك بقضبان السجن عندما يأتي ذلك النداء؟ أم هل سنعيش بطريقة نرى ذلك النداء كبداء تحرر. نداء للعودة إلى مسكننا.

العلاقة مع الخالق

الصلاة: غرض الحياة المنسي

قام الإنسان بالعديد من الرحلات على مر الزمان ،لكن هناك رحلة واحدة لم يقم بها أحد على الإطلاق.

ما عدا إنسان واحدا.

على مركبة لم يركبها أحد من البشر عبر مسار لم يره احد، إلى مكان لم تطأه قدم مخلوق. كانت رحلة رجل واحد ليلتقي بالإله؛ هي رحلة محمد، رسول الله إلى السموات العلا.إنها رحلة الإسراء والمعراج.

رفع الله رسوله الحبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة، كان هناك أمرا واحدا في قمة الأهمية، فبدلا من أن ينزل جبريل عليه السلام رفع الله محمدا صلى الله عليه وسلم إليه ليبلغه به.

كان ذلك الأمر هو الصلاة. عندما أعطي الرسول الأمر بالصلاة كانت خمسين في اليوم والليلة. وبعدما سأل الرسول الله أن يخفف عن أمته، أصبح الأمر في النهاية خمس صلوات في اليوم والليلة بأجر الخمسين.

وضح العلماء أن عملية التخفيف كانت مقصودة، والغرض منها إعلامنا بالمكان الحقيقي الذي تحتله الصلاة في حياتنا، تصور أنك تؤدي الصلاة خمسين مرة . هل يمكننا فعل أي شيء آخر سوى الصلاة؟ لا .وهذا هو المقصود. هل هناك طريقة أعظم من هذه لتبيان الغرض الحقيقي من حياتنا، كما لو كنا نقول الصلاة هي حياتنا الحقيقية، وكل ما تبقى مما نملأ به يومنا هو مجرد حركات.

فومع ذلك فالصلاة باتت شيئا نحشره في يومنا، عندما نجد وقتا.وهذا عند أولئك الذين يصلون فحسب.وهناك من تخلى عنها، قال بعض العلماء ان تارك الصلاة لا

يعد مسلما. بني هذا الرأي على حديث شريف" العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر"

فكر للحظة ما الخطأ الذي اقترفه الشيطان. هو لم يرفض الإيمان بالله لكنه رفض أن يسجد سجدة واحدة، تخيل كل السجدات التي أبيت تأديتها.

ضع بعين الاعتبار خطورة الرفض.فكر كيف تأخذ أمر الصلاة بلا مبالاة، الصلاة هي أول شيء نسأل عنه يوم القيامة، ومع ذلك فهي آخر ما يشغل بالنا.

في ذلك اليوم يسأل الجنة أولئك الذين حشروا في جهنم، لماذا دخلتموها ويخبرنا القرآن ما سيكون ردهم الأول(ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين) (المدثر:٤٢-٤٣)

يقول الكثير من الناس إنهم لا يملكون وقتا للصلاة في العمل أو المدرسة، أو عندما يكونوا خارجا.لكن كم من الناس يقولون إنهم لا يملكون الوقت للذهاب إلى الحمام؟ ولهذا عندما خرجوا اختاروا ارتداء الحفاضات؟ ببساطة كم منا ليست لديه الرغبة في الاستيقاظ وقت الفجر إذا احتجنا الحمام؟ الحقيقة أننا سنقوم من السرير أو نترك الفصل، أو نتوقف عن العمل؛ لنستخدم الحمام، ولكن ليس لأجل الصلاة، الحقيقة هي أننا نضع احتياجات جسدنا فوق احتياجات روحنا. نطعم أجسامنا ، لأننا إن لم نفعل فسنموت. لكن الكثير منا يجوع روحه، متناسيين أننا إن لم نصل فان أرواحنا ستموت. ومن المفارقة ، أن الجسد الذي نعتني به هو مؤقت ، بينما الروح التي نهملها هي أبدية.

الصلاة و أسوأ أنواع السرقة

الشيء الوحيد المحزن في العثور على الصراط المستقيم هو عندما نفقده. هناك طرق كثيرة للسقوط ولكن لا يوجد سقوط أكثر مأساوية من خسران الدين.نتساءل كيف يمكن لشخص كان على استقامة أن يحيد بعيدا عن الطريق؟ ما لا ندركه هو أن الجواب قد يكون أبسط مما نظن. يسقط الناس في كل أنواع المعاصي، ولكن هناك معصية يشترك فيها الكثير من هؤلاء،قاسم مشترك لكل فرد يعيش حياة مليئة بالمعاصي، وهو قيام ذلك الشخص بداية بهجر الصلاة ، أو التقليل من شأنها، أو وضعها جانبا أو تجاهلها قبل أن يدركه السقوط.

عندما يقرر شخص أن تخلى عن الصلاة، فانه يتخلى أيضا عن هذه العناية، التخلي في أغلب الأحيان لا يحصل مرة واحدة، ولكن بصورة تدريجية.يبدأ بتأخير الصلوات وأحيانا جمع صلاة مع أخرى ، وسرعان ما يتحول إلى ترك جملة واحدة. وفي الوقت نفسه يحدث شيء غير محسوس. مع كل صلاة مؤخرة أو متروكة، تشتعل معركة خفيفة: معركة الشيطان . بترك الصلاة ينزع الإنسان الدرع الذي منحه اللّه إياه.ويدخل أرض المعركة بدون حماية .يمكن للشيطان الآن أن يحصل على التحكم الكامل.وعن هذه الحقيقة يقول اللّه" ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين" (الزخرف:٣٦)لذلك ليس من المفاجئ أن ترى أن ترك الصلاة سيصبح الخطوة الأولى في الطريق إلى حياة أدنى، الذين حادوا عن الطريق

يحتاجون النظر إلى بداية الهاوية، سيجدون التهاون بالصلاة. والعكس ينطبق على الذين يسعون إلى الاستقامة في حياتهم، حيث يبدأ بالتركيز على الصلاة وإتقانها. حينما تعيد للصلاة أولويتها-حينها فقط تستطيع أن تغير وجهة حياتك.

المفارقة في هذه الحقيقة أن الكثير خدعوا بظنهم أنهم بحاجة لتغير وجهة حياتهم قبل البدء بإقامة الصلاة، وهذا خدعة خطيرة من الشيطان، الذي يعلم أن الصلاة تعطي الشخص الطاقة و الهداية الضروريتين لتغير وجهة حياته.

بفعلنا هذا سمحنا له أن يسرق منا ما لا يقدر بثمن، اللص الذي أقسم لله أن تكون عداوته لنا بلا هوادة والى نهاية الزمان، هو لص يسرق روحنا الأبدية وتذكرتنا الدائمة إلى الجنة.

محادثة مقدسة

هناك وقتا في الليل عندما ينتهي العمل، تهج المركبات، ويصبح الصمت هو الصوت الوحيد. في ذلك الوقت- بينما يخلد العالم المحيط بنا إلى النوم- هناك من لا ينام ، ينتظرنا لنناديه.أخبرنا في حديث قدسي:

"ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول هل من يدعوني فأستجب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فاغفر له" (**صحيح بخاري ومسلم**).

ما على الشخص إلا أن يتخيل : ما لذي سيحدث إذا جاء الملك إلى بابه عارضا أن يمنحنا كل ما نريده؟إذا أخبرنا أنه سيترك صكا بعشرة ملاين دولار عل عتبة بابنا قبل الفجر بساعة، ألا نستيقظ لنأخذه؟

أخبرنا اللّه أنه في هذا الوقت من الليل ،قبل الفجر بقليل، سيأتي إلى عباده.

تخيل هذا أن ملك الكون يعرض عليم محادثة مقدسة. ينتظرنا كي نقوم ونناجيه، لكن الكثير منا ينام في سريره ويتركه ينتظر، يأتينا و يسألنا ماذا نطلب منه؟

سيأتي يوم يرفع حجاب الوهم، يقول اللّه تعالى(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (ق:٢٢)

في ذلك اليوم سنرى الحقيقة المطلقة؛ سندرك أن صلاة ركعتين هي أعظم من كل شيء في السموات والأرض.سيأتي يوم نتمنى فيه التخلي عن كل شيء تحت السماء، والرجوع كي نصلي هاتين الركعتين.نتخلى عن كل شيء أحببناه في هذه الحياة ، كل ما شغل قلوبنا وعقولنا. كل سراب ركضنا وراءه. فقط لنحظى بتلك المحادثة مع الله.لكن في ذلك اليوم سيكون هناك بعض الذين يلتفت الله عنهم... وينساهم كما نسوه يوما يقول تعالى(قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) (طه:١٢٦_١٢٥) ما لذي تخبرنا به الآية؟ ليس هذا عن نسيان صديق قديم أو زميل لك . انه نسيان رب العوالم لك !لا جهنم ، ولا الماء المغلي ، ولا الجلد المحروق، ولا شيء أعظم عقوبة من تلك!

ولا جائزة أعظم مما وصف النبي صلى الله عليه وسلم(إذا دخل أهل الجنة الجنة- قال- يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيء أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار-قال-فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل) (صحيح مسلم).

لكن، لا يحتاج الشخص أن ينتظر ذلك اليوم كي سرى نتيجة هذا اللقاء الليلي مع الله، فلابد أن يجرب كي يعرف ، إن أثر المناجات على حياة الشخص لا يقاس.

عندما تجرب القيام، فان ما تبقى من حياتك سيتغير بشكل جذري. فجأة تصبح الأعباء التي كانت تثقل كاهلك خفيفة، والمشكلات المستعصية، ستحل. فهذا القرب من خالقك الذي كان في يوم ما غاية بعيدة المنال؛ سيصبح حبل نجاتك الوحيد.

الساعة الأشد ظلمة وقدوم الفجر

طبقا للمثل المألوف، فان الساعة الأشد ظلمة هي التي تسبق بزوغ الفجر، ولكن من الناحية الفلكية هي التي تأتي أبكر من ذلك بكثير.كثيرا ما نجد أن أكثر الساعات قتامه في حياتنا يعقبها ما هو أثمنها على الإطلاق.

ألم يفقد النبي أيوب عليه السلام كل شيء عزيز عليه الواحد تلو الآخر، قبل أن يرد إليه كل ما فقده وزيادة؟

بالنسبة للنبي أيوب كانت الظلمة حقيقية ، وللكثير منا تبدو و كأن تلك الظلمة كانت ستبقى للأبد. لكن الله لا يسمح بظلمة أبدية فبرحمته يمنحنا الشمس.

فرحمة الله الواسعة أرسلت لنا نور رمضان كي يمحو الليل، أرسل الله الشهر القرآن كي يسمو بنا ويخرجنا من عزلتنا إلى قربه. أعطانا الله الشهر المبارك، كي نملأ فراغنا، ونداوي وحدتنا، وفقر أرواحنا، أرسل الفجر، كي نرى من الظلمات نورا.

هذه الرحمة تصل إلى كل من يطلبها، فحتى أعتى المجرمين قد أخبر بألا ييئس من رحمة اللّه الواسعة.يقول اللّه(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّه ان اللّه يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) (الزمر:٥٣).
اللّه هو مالك الرحمة،وليس هناك وقت تتنزل فيه الرحمة علينا أكثر من رمضان قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم " أوله رحمه و أوسطه مغفرة وآخره عتق من النار" (صحيح ابن خزيمة).
كل لحظة في رمضان هي فرصة للرجوع إلى اللّه، تمسكنا باللّه هو الطريق الوحيد لرفعتنا؛ فعندما يصبح من الصعب علينا تجنب كل ما هو حرام، عندها يجب علينا مراجعة علاقتنا باللّه.الهم من ذلك كله يجب علينا أن لا نسمح لأنفسنا أبدا بالتفكير في ان أي شيء في العالم ينجح أو يفشل أو يمنح أو يؤخذ او ينجز أو لا دون تقدير اللّه. ارتباطنا باللّه هو العالم المحدد لرقينا أو سقوطنا في هذه الحياة. خالقنا لا يحمل لنا أي ضغينة بخلاف البشرية . لك أن تتخيل استلامك لصحيفة بيضاء. تخيل أنه محو كل شيء ندمت على فعله تماما. رمضان هو تلك الفرصة أخبرنا الرسول صلى اللّه عليه وسلم" من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"هناك أمران كثيرا ما نغفل عنهما، يجب أن نضعهما بعين الاعتبار.

اعلم لماذا تصوم

الكثير من الناس ينظر إلى الصوم على أنه مجرد شعيرة، وبعض آخر يختزلها إلى مجرد تدريب بسيط للتعاطف مع الفقراء، وعلى الرغم نمن أن هذه نتيجة جميلة، فإنها ليست الهدف الأساسي الذي بينه اللّه عندما نقوم بالتحكم والحد من حاجاتنا المادية، فإننا نكسب القوة لخوض المعركة الأعظم: التحكم والحد من

شهوات النفس. عند الصيام، كل شعور بألم الجوع يذكرنا باللّه الذي قمنا بالتضحية من أجله. تذكرنا لذلك سيجعلنا أكثر إدراكا لوجوده، وبهذه الطريقة تزيد من تقوانا. الشيء نفسه الذي يمنعنا من اقتراف معصية أكل الطعام خلسة بغياب الآخرين ،هو الذي يدربنا على تجنبا معاص أخرى بغياب الآخرين.تلك هي التقوى.

لا تجعل من الصيام مجرد شعور بالجوع و العطش

يجب عليك أثناء الصيام أن تتذكر أن الصيام ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب فحسب، بل كفاح لتصبح شخصا أفضل، وبهذا الكفاح نعطي فرصة للانعتاق من ظلمات انعزالنا عن اللّه. ولكن مثل الشمس التي تغرب في نهاية اليوم ، فكذلك رمضان سوف يأتي ويذهب، تاركا بصمته على سماء قلوبنا.

اليوم دفنا رجلا: تأمل في الموت

كتبت هذا وأنا في السيارة، في طرق العودة الى البيت، بعد دفن نفس ورعة. أدعو اللّه أن يرحمه و أسرته.آمين.

وهاأنذا الآن في طريقي إلى البيت مع قافلة الأحياء ، مؤقتا.

إلى الآن ، أنا وأنت مازلنا في قافلة الأحياء . ولكن هذا ليس بسبب أننا متجهون إلى أرض منفصلة. ليس لأنهم ذاهبون ونحن ما كثون. ولكن فقط لأن قافلتنا تباطأت في المسير.أنا لا أقود الرتبة عائدة إلى بيتي، أقود المركبة راجعة إلى حيث بدأت. اتجه الآن إلى المكان نفسه الذي ذهب هو إليه. ولمني لا أعلم تماما كم ستستغرق رحلتي هذه.

أشد الرحال إلى حيث بدأت : مع الله لأن الله هو الأول ، وهو الآخر.

جسدي يأخذني إلى هناك..ولكنه مركبة فقط؛ عندما أصل هناك سأخلفه ورائي كما فعل هو اليوم. جسدي جاء من الأرض وسيرجع إلى الأرض. صحبني لفترة قصيرة. لكني سأتركه عندما أصل. وليس أرحل. لأن ذلك هو مسكني الذي سأعود إليه، ولهذا عندما ينادي الله النفس الورعة للرجوع يقول(ارجعي) (الفجر:٢٨).

النفس الجميلة النبيلة التي دفناها لم ترحل اليوم من الحياة. تلك النفس دخلت مرتبة أعلى وأفضل منها- ان شاء الله- وصلت الى مسكنها. أما الجسد فقد خلق من العالم المادي، لذلك وجب عليه أن يترك هنا. الجسد هو من العالم الأدنى. بينما الروح هي من العالم العلوي. الروح لديها احتياج واحد فقط: هو أن تكون مع الله.ولهذا وبينما يبكي الجسد وينزف و يشعر بالألم من العالم المادي، لا يتأثر الروح بهذه الأشياء . هناك شيء واحد فقط يمكنه أن يؤذي الروح. يستطيع أن يقتلها: هو حرمانها من أن تكون قريبة من الله. لذلك يجب علين أن لا نبكي على النفس التي وصلت إلى مسكنها، لأنها ليست ميتة . يجب أن نبكي على من كان جسده حيا وروحه ميتة.

يا الهي ، اجعل روحي مطمئنة، اجعلها مكانا من السكون والهدوء والصفاء ، غير ملموسة من العالم الخارجي. الروح التي يناديها الله بالرجوع قائلا: (يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، وادخلي في عبادي، وادخلي جنتي) (الفجر:٢٧-٣٠).

لماذا لا تستجاب دعواتي؟

أتصور أن ما يحدث في مثل هذه الحالة هو أننا نخلط بين وسائلنا وغاياتنا. عندما ندعو اللّه من أجل زوج صالح مثلا، الكثير من الناس يعدونه غاية، وهذا ما يفسر الشعور بالكثير من الخذلان، وخيبة الأمل التي تلحقه، والمفارقة أنه في كلتا الحالتين: سواء حصلنا عليه أم لم نحصل؛ سيكون الزواج مثل كل شيء في هذه الدنيا وسيلة للوصول إلى اللّه.فإذا دعوناه بذلك ولم نحصل عليه، فربما اختار اللّه لنا وسيلة أخرى.ربما من خلال الشدة، وما قد ينتج عنها من تطهير وما تبنيه من صبر ، يأخذ اللّه بأيدينا إلى تلك الغاية:اللّه. ربما،واللّه أعلم، إذا أعطاك ذلك، قد يجعلنا غافلين ولا نحقق غايتنا أبدا.

بدلا من أن نرى الأمور هكذا، نراها بالعكس تماما، وهنا المشكلة. تصبح غايتنا هي الدنيا(وظيفة ، الحصول على طفل ، مهنة،....الخ) ويصبح اللّه هو وسيلتنا

للوصول إليها.نلجأ إليه كوسيلة فقط، من خلال الدعاء، ثم نشعر بالإحباط إذا لم يحقق لنا ما نريده.

لكن الله ليس وسيلة بل هو الغاية. الغاية القصوى للدعاء بحد ذاته هي لبناء علاقتنا مع الله.فمن خلال الدعاء نصبح أقرب إليه،ومن أرى أن المشكلة هي توجهنا الخاطئ ، ولهذا السبب أحب دعاء الاستخارة كثيرا، أنه يبين بما لا يدع مجالا للشك أن الله وحده أعلم،يسأل المستخير الله أن يجلب ما هو حسن ويبعد ما هو سيئ.بعد أن نسأل علينا الأخذ بالأسباب بعد أن نضع ثقتنا بالله . و أن نكون سعيدين بما أختاره الله لنا. وندرك أن الله يجيب كل الدعوات، ولكن ليس دائما بالشكل الذي نتوقع، وهذا ببساطة لأن علمنا محدود، وعلمه غير محدود. بعلمه الأزلي قد يرسل لنا ما يعلم أنه أفضل لنا للوصول إلى الغاية القصوى: رضا الله .

فيس بوك. الخطر الخفي

نحن نعيش في عالم الكتروني محاطون بأجهزة الاي فون والاي باد ، ومواقع مثل الماي سبيس و اليوتيوب. التوجه واضح: والتركيز على الأنا.فلا يحتاج الشخص النظر بعيدا ليرى هذا الولع بالنفس. من أجل بيع أكبر قدر ممكن من المنتجات ، يخاطب المعلنون الأنا التي داخلنا. فعلى سبيل المثال، الكثير من الدعايات تستهوي ذاك الجزء فينا المحب للقوة والسلطة. شركة دايركت تي-في تخبرك" لا تشاهد التلفاز، بل وجهه!".

هناك ظاهرة عالمية توفر أرضا خصبة ومنصة لتلك الأنا، تدعى الفيس بوك.يعتمد على طريقة استعمالك له. يكمن أن يستخدم كأداة قوية للتنظيم أو الدعوة و التذكير والتوحد.

ظاهرة الفيس بوك ظاهرة مثيرة، ففي كل واحد منا توجد الأنا، وهي الجانب من أنفسنا الذي يجب أن يلجم الخطر في إطعام الأنا هو أنه حينما تطعم تصبح قوية و

عندما تصبح قوية، تبدأ بالتحكم فينا، و قريبا لن نكون عباد لله، بل نصبح عبدا لأنفسنا.

الأنا هو ذلك الجزء منا الذي يحب السلطة، الجزء الذي يجب أن يرى، ويحمد ويعشق، فالفيس بوك يهيئ منصة قوية لتحقيق ذلك،يمكن من خلالها لكل كلمة أو صورة أو خاطرة عندي أن ترى ويعجب بها. فجأة أجد نفسي أعيش كل تجربة، لأن ما يشغل بالي هو التفكير ب" سأضع هذا على الفيس بوك". سيخلق حالة عجيبة من الوجود، مع شعور مستمر بأنني أعيش حياة معروضة على الرف.لأنه يمكن لكل شيء يوضع أن يشاهده الآخرون ويعلقوا عليه.

الأهم من ذلك،أن هذا الحال يخلق شعورا كاذبا بأهمية الذات، بحيث يجعل كل حركة عديمة الأهمية ذات قيمة عالمية.و النتيجة ستكون عالما من الأثرة تسوده الأنا، حيث أكون أنا في المركز.

هذه النتيجة ضد حقيقة الوجود. فالهدف من الحياة أن ندرك حقيقة عظمة الله، هو أن أخرج نفسي من المركز و أضعه هناك.لكن الفيس بوك يرسخ الوهم الذي هو العكس،فهو يجعلني متيقنة أنه بسب أهميتي يجب أن تعرض كل حركة من حركاتي أو فكرة من أفكاري، وان كانت عديمة الأهمية.فعندما أنشر شيئا، أنتظر بفارغ الصبر من يعجب به، وفضلا من ذلك أصبحت على وعي تام بعدد الأصدقاء دهم.هذا الانشغال والتنافس ذكر في [لدي ، بل وحتى أتنافس مع غيري لزيادة ع القرآن قوله تعالى" ألهاكم التكاثر" سواء كان التنافس في تجميع المال أم الأصدقاء أم الاعجابات على الفيس بوك، ستكون النتيجة نفسها: أصبحنا منشغلين بذلك.

كذلك يقوي الفيس بوك شغفا من نوع خطير: الشغف بالآخرين ماذا يفعلون، وماذا يحبون، وما رأيهم في.كما يغذي انشغالي بتقييم الآخرين لي. فسرعان ما أدخل في مدار الخلق، وفي ذلك المدار سيحدد الخلق تعريفاتي و ألمي وسعادتي وقيمة نجاحاتي وفشلي.فعندما سيكون أناس سعداء بي سأصعد وعندما لا

يكونون كذلك سأنزل. سأكون مثل السجين ، لأني أعطيت للآخرين مفاتيح سعادتي وحزني وانجازاتي وإحباطي ليحتفظوا بها.

حالما أدخل و أعيش في مدار الخلق أبدأ باستخدام تلك العملة، أنتبه إلى أن العملة في مدار اللّه هي: رضاه أو غضبه ، جزاؤه أو عقابه : لكن العملة في مدار الخلق هي : ثناء الناس أو ذمهم. لذلك كلما دخلت أعمق فأعمق في ذلك المدار، أرغب أكثر بتلك العملة، و أخشى أكثر في فقدانها. عندما ألعب المنوبولي على سبيل المثال، فاني احرص على جمع أكير قدر من عملة اللعبة، فالشعور بالغنى عظيم حتى لحظيا . ولكن بعد الانتهاء مالذي أستطيع شراءه من العالم الحقيقي بمال المنوبولي.

عملة الثناء البشرية مشابهة لعملة المنوبولي، تجميعها يشعرك بالسعادة، ولكن عندما تنتهي تكون لا قيمة لها في واقع هذه الحياة الدنيا والآخرة. ومع ذلك ، لا أنفك أجمع تلك العملة المزيفة حتى فيما أقوم به من عبادات . بهذه الطريقة أصبحت ضحية الشرك الخفي: الرياء . الرياء نتيجة العيش في مدار الخلق.كلما دخلت في ذلك المدار ، ازداد خوفي من الخسارة، وفقدان ماء الوجه وخسارة المكانة الاجتماعية ، وخسارة المرح والتأييد. في نهاية الأمر كلما خشيت الناس، أصبحت مستعبدة . الحرية الحقيقية تأتي عندما أترك الخوف من أي شيء و أي أحد غير اللّه.

في حديث عميق المعنى جاء رجل إلى الرسول فقال" يا رسول اللّه دلني على عمل إذا عملته أحبني اللّه وأحبني الناس؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك اللّه، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس" (ابن ماجه).

و المفارقة أنه كلما قلت ملاحقتنا لمديح الآخرين وحبهم، حصلنا عليها. وكلما أصبحنا أقل احتياجا للآخرين، انجذبوا إلينا وسعوا لصحبتنا.هذا الحديث يعلمنا

حقيقة عميقة، تتمثل في أن الخروج من مدار الخلق سيمكننا من أن ننجح مع الله ومع الناس.

الفيس بوك في الحقيقة أداة فعالة، اجعله أداة لتحريك، لا أداة لعبوديتك لنفسك وتقيم الآخرين لك.

الشعور باليقظة

من الصعب وصف هذا الشعور. تخيل أنك تحيا حياتك كلها في كهف، وتظن أنه عالمك كله، وفجأة تخطو إلى الخارج، و لأول مرة في حياتك ترى السماء، وترى الأشجار والطيور والشمس. ستدرك حينها أن العالم الذي عرفته يوما كان مزيفا، ستكتشف واقعا أجمل و أكثر صدقا.تخيل نشوة الاكتشاف. ستمر عليك لحظة تشعر فيها بأنك قادر على تحقيق أي شيء. فجأة لم يعد هناك أهمية لأي شيء في حياتك السابقة في الكهف. أصبحت ممكنا، ومتيقظا تماما وحيا تماما. انه شعور لا يمكن وصفه. إنها النشوة الروحية التي تلازم كل حقيقة مكتشفة حديثا.

هذا هو الشعور باليقظة

أي إنسان يعيش حياته بعيدا عن الله ثم يعود إليه مرة أخرى يعرف هذا الشعور أيضا.هذ الحالة سماها ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين(باليقظة).

يصف هذه الحالة بالمحطة الأولى في الطريق إلى الله.هذه الحالة عادة ما يشار إليها

حماسة المهتدي. عندما يبدأ شخص باعتناق الإسلام أو العودة إلى اللّه، فانه يكون مليئا بالحماسة والطاقة التي لا تجدها عند الآخرين. والسبب هو النشوة الروحية التي تتصف بها هذه المرحلة.

خصائص درجة اليقظة:

يجعل اللّه العبادة أسهل؛ حيث يكون الشخص منقادا و متحمسا إلى درجة تجعله مستعدا للتضحية بكل شيء من أجل الحقيقة الجديدة التي اكتشفها.القوة التي تمتلكها ليست من ذاتك، بل هي عون منح لك من اللّه. إذا منحك اللّه هبة تستطيع من خلالها انجاز الكثير ، فعليك استخدامها، و لكن اشكره ولا تشكر نفسك .واعلم أن حالة مؤقتة، ولكن عندما تذهب لا تفقد الأمل، لا تسمح لنفسك أن تنزلق مرة أخرى إلى الصفر.

حالة مؤقتة: الحياة ليست خطا طوليا، والطريق إلى اللّه ليس كذلك. عدم إدراك ذلك قد يسبب يأسا وقنوطا في اللحظة التي تنتهي فيها تلك النشوة.

عقبات هذه الدرجة

الغرور أو اللامبالاة واليأس. المتكبر يشعر أنه أصلا جيد بما فيه الكفاية، لذلك يتوقف عن الكفاح، أما المصاب باليأس، فيعتقد أنه لن يكون جيدا بما فيه الكفاية أبدا.علتان متضادتان تقودان إلى نفس النتيجة، التلكؤ في طريقنا إلى اللّه.

الغرور: أول عقبة تنتج من عدم إدراك أن زيادة القدرة على العبادة أتت من اللّه، بدلا من أن يدرك المهتدي أن هذه الحالة هبة من اللّه، يشعر العابد بفخر خفي، و قد ينظر بدونية إلى من لا يشاركه هذه الحماسة.

اليأس والقنوط: هذه العقبة ترتبط بعدم إدراك الشخص المهتدي أن هذه النشوة الإيمانية- ككل الحالات الأخرى في هذه الحياة – مؤقتة.عدم استقرار هذه النشوة هي سمة للحياة،الشيء الأهم هو أن لا تجزع.

مصائد الشيطان

تذكر أن الشيطان سيصل إليك بطرق مختلفة، و بحسب حالتك.

عندما تكون في القمة سيحاول الوصول إليك يجعلك متكبرا تنظر إلى الآخرين بنظرة دونية.في آخر المطاف سيحاول الوصول إليك يجعلك فخورا بنفسك، بحيث تظن أنك لا تحتاج إلى مواصلة الكفاح لأنك أفضل ممن حولك.دائما يجعلك تنظر إلى ما يبدو أقل منك هملا، لتبرر به عيوب.مثال اذا كنت متهاونا بالصلاة، قد تفكر(على الأقل لا أذهب الى الملاهي و لا أشرب الكحول مثل فلان).تذكر أفعالك لا تقاس بما يفعله الآخرون . كلنا سنقف فرادى يوم القيامة. هي مجرد أداة للشيطان ليجعلك تتوقف عن الكفاح.

عندما تكون في الحضيض: سيحاول الشيطان أن يستحوذ عليك ، يجعلك يائسا، سيحاول أن يجعلك تصدق أنك عديم الفائدة فاشل، ومهما فعلت لن ترجع إلى ما كنت عليه سابقا أو سيحاول أن يجعلك تظن أنك(أسوأ) من أن يغفر الله لك.في النهاية سيؤدي هذا إلى تدمير الذات.لأن ذلك يمنعك من السماح لنفسك بارتكاب الأخطاء أو الإحساس بالضعف.بما أنك تعتقد بأنك لا تملك الإذن بأن تكون بشرا ومعرضا للخطأ، فانك عندما ترتكب الخطأ تصبح شديدا على نفسك. بحيث تفقد الأمل.فتسمح لنفسك بالسقوط، وقد ينتهي بك الحال لارتكاب المزيد من المعاصي، والذي تجعلك أكثر يأسا! وتدخل في حلقة مفرغة. سيحاول أن يجعلك تصدق بأنه لا يمكنك أن تتوب وتصلي لأنك ستكون منافقا. يريدك أن تيأس من رحمة الله. عندما تذنب ؛ تكون بحاجة أكثر للرجوع إلى الله وليس العكس!

لحماية نفسك من دوامة الهبوط، تذكر أن المنخفضات جزء من الطريق . تذكر أن الفتور هو جزء من كوننا بشرا.أن تشكل عادات معينة تعتبرها حدك الأدنى.هذا يعني أنه مهما شعرت بأنك مطفأ الحماس وعندك حالة من الفتور، فستظل تقوم بهذه الأشياء على الأقل. ستدرك عندما تكون في القاع، أن القيام بذلك أصعب، و لكنك ستكافح للحفظ على هذه الأشياء.على سبيل المثال التزم بسنن معينة أو ورد قرآني ، حتى لو كان قليلا، وتذكر أن الله يحب الأعمال الصغيرة الدائمة ، أكثر من الأعمال العظيمة المتقطعة .

اعلم أن الطريق إلى الله ليس ممهدا. إيمانك سيصعد وينزل، و قدرتك عل العبادة ستزيد وتنقص، ولكن اعلم أن مع كل فتور هناك ارتفاع أيضا، ابق صامدا فحسب، لا تفقد الأمل، واطلب العون من الله.الطريق صعب، وسيحوي مطبات وحفرا، ولكن مثل كل شيء في هذه الحياة- سيصل هذا الطريق إلى نهايته، وتلك النهاية ستستحق كل هذا العناء.

قال تعالى: (يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) (الانشقاق:٦).

مكانة المرأة

تمكين المرأة

عندما دخل أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة ، حاملا رسالة الإسلام إلى أهلها ، عرضها بشكل جميل، وقال(نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله).

في هذا القول يكمن كنز عظيم، وفي تلك الكلمات يكمن المفتاح الموصل للتمكين، والطريق الوحيد للحرية.

اللحظة التي نسمح بها- أنا و أنت- لأي شيء غير خالقنا، أن يحدد نجاحنا أو فشلنا، سعادتنا أو قيمتنا، نكون قد دخلنا إلى نوع صامت من العبودية، نوع مهلك.

السيد الذي يحدد قيمة المرأة أخذ أشكالا مختلفة من الزمان، ومن بين أكثر المعايير شيوعا- مما وضع للمرأة- هو معيار الرجال. كثيرا ما ننسى أن الله كرم المرأة بإعطائها القيمة من خلال علاقتها به هو، وليس من خلا علاقتها بالرجال، إلا أن النساء الغربيات المطالبات بحقوق المرأة – بمحوهن الله من المشهد- طمسن أي معيار سوى معيار الرجل، و بذلك تقبلت أن يكون الرجل هو المعيار،بناء عليه لا تستطيع المرأة أن تكون إنسانا كاملا حتى تصبح مثل الرجل: المعيار.

عندما قص الرجل شعره قصيرا، أرادت أن تجعل شعرها قصيرا، وعندما التحق بالجيش أرادت هي أيضا. ما لم تدركه هو أن الله شرف كلا من الرجال والنساء من خلال تمايزهم، لا في تشابههم. عندما نقبل الرجال كمعيار، يصبح فجأة أي شيء يتميز بأنوثته أمرا أدنى. رقة الشعور تعد اهانة، أن تكوني أما متفرغة، يعد تخلفا.

بالتالي في مكان ما على هذا الطريق، قبلنا بفكرة مفادها أن امتلاك مكانة قيادية دنيوية هو مؤشر على مكانة الشخص عند اللّه.

لكن المرأة المسلمة لا تحتاج إلى أن تحط من قدرها بهذه الطريقة. ولديها اللّه كي يعطيها قيمة. إنها ليست بحاجة لرجل كي تحصل على ذلك. بالنظر إلى ميزاتنا كنساء، فإننا سنحط من قدرنا عندنا نحاول أن نكون غير ما نحن عليه- وبكل صدق- لا نريد أن نكون: رجالا.

بوصفنا نساء لن نستطيع أبدا الوصول إلى الحرية الحقيقية إلا بع أن نتوقف عن محاكاة الرجال، ونقدر الجمال في تميزنا الذي منحنا اللّه إياه.

ومع ذلك، في مجتمعنا هناك(سلطان) آخر غالب، وهذا هو ما يسمى بمعيار الجمال. فمنذ صغرنا كفتيات تم تعليمنا رسالة واضحة من المجتمع، و الرسالة هي (كوني نحيفة ومغرية و جذابة او .....لا تكوني شيئا).

وصلنا إلى حد تصديق أنه مهما فعلنا فإننا سنكون أهلا للاحترام فقط على حسب درجة جمالنا، و إسعادنا للرجال. قضينا حياتنا على غلاف مجلة(كوسمو) و أعطينا أجسادنا سلعة للمعلنين.

كنا عبيدا، ولكن قيل لنا أحرارا، لكي تجذبي و تكوني جميلة في عيون الرجال.

جعلوك تصدقين أن جسدك خلق لتسويق سياراتهم. لكنهم كذبوا عليك.

جسدك، و روحك، خلقا لشيء أعظم بكثير.

يقول اللّه تعالى(إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم إن اللّه عليم خبير) (الحجرات: ١٣).

لذلك أنت مكرمة، قيمتك كبشري تقاس بميزان أعلى: ميزان البر والتقوى، و هدفك في الحياة- على الرغم مما تقوله مجلات الموضة- هو شيء أرفع من مجرد ظهورك جميلة بأعين الرجال.

كمالنا يأتي من اللّه وعلاقتنا به. ومع ذلك منذ صغرنا كنساء، علمنا أننا لن نصل أبدا إلى الكمال إلا إذا جاء رجل ليكلمنا –مثل سندريلا. إلا عندما يأتي

الأمير لينقذنا- مثل الجميلة النائمة. ليس هناك فارس يستطيع إنقاذك . الله هو وحده القادر على ذلك.

أميرك هو مجرد بشر، وربما يرسله الله ليصبح شريكك، ولكنه لن يكون أبدا منقذك. ليس الهواء في رئتيك، هواؤك هو في الله. خلاصك وكمالك لا يتحققان إلا بالقرب منه.

لذلك أطلب منك أن تنسي ما علمته. أسألك أن تخبري العالم بأنك لست هنا لكي ترضي الرجال بجسدك. أنت هنا لكي تنالي رضا الله.أنت روح وعقل و أمة لله. وقيمتك تحدد بجمال تلك الروح، وذلك القلب وتلك الأخلاق.لذلك فالجواب على سؤال أين وكيف للمرأة أن تجد التمكين؟ أجد نفسي منقادة إلى إدراك أن الحرية الحقيقة و التمكين يكمنان في تحرير النفس من كل الأسياد، و كل الحدود الأخرى، وكل المعاير الأخرى.

قيمتنا وحريتنا وكرامتنا و كمالنا لا تكمن بالعباد، بل برب العباد.

رسالة إلى الثقافة التي ربتني

خلال نموي، قرأت البطيطة القبيحة، ولسنوات صدقت بأنني هي. و لوقت طويل علمتني بأنني لست أكثر من نسخة سيئة للمعيار(الرجل). لن أستطيع أن أركض أسرع أو أحمل أكثر، لن احصل على الراتب نفسه، وكثيرا ما كنت أبكي. نشأت في عالم الرجل الذي لا أنتمي إليه.

وعندما لم أستطيع أن أكون هو، أردت فقط أن أرضيه، ووضعت مكياجك ولبست تنانيرك القصيرة، وضحيت بحياتي وجسدي وكرامتي من أجل أن أكون جميلة. أخبرني الإسلام بأنني وزه. أنا مختلفة، ومن المفترض أن أكون كذلك، جسدي وروحي خلقا لشيء أكبر من ذلك.فأنا مكرمة،قيمتي كبشر تقاس بمعيار أعظم: البر والتقوى.و هدفي في الحياة أرفع من أن أبدو جميلة بأعين الرجال.

لذلك أمرني اللّه أن أغطي نفسي؛ لأخفي جمالي، ولأخبر العالم أنني لست هنا لأرضي الرجال بجسدي، أنا هنا لأرضي اللّه.زاد اللّه في تكريم جسد المرأة ، و أمر أن يحترم ويغطى، ويكشف فقط للمستحق؛ الرجل الذي أتزوج. فهؤلاء الذين يريدون (تحريري) لدي شيء واحد أقوله لهم: لا وشكرا.

قيمتي تتحدد بجمال روحي وقلبي و أخلاقي. لذلك لن أعبد مقاييس جمالك، و لن أخضع لاتجاه موضتك. خضوعي سيكون لشيء أعلى.بحجابي أعرض إيماني. بدلا من جمالي. فسأغطي مالا داعي لعرضه، وعندما تنظر إلي لن ترى جسدا، بل سترى من أكون: أمة لخالقي. انظر، بوصفي امرأة مسلمة، حررت من عبودية ذات نوع صامت. لا أستجيب لعباد اللّه على هذه الأرض ، بل أستجيب لملكهم.

خاطرة امرأة عن إمامة الصلاة

في ١٨ مارس ٢٠٠٥ أمت أمينة ودود أول صلاة جمعة تأمها امرأة. في ذلك اليوم خطت النساء خطوة كبيرة في اتجاه كونهن أكثر شبها بالرجال. لكن هل صرنا أقرب الى تحقيق حريتنا التي منحها اللّه إياها؟

لا أظن ذلك.

في الثامن عشر من مارس، ارتكبت نساء مسلمات تلك الغلطة. لمدة ١٤٠٠ سنة أجمع العلماء أن الرجال هم الذين يؤمون الصلاة. كامرأة مسلمة، لماذا تعد إقامة الصلاة قضية مهمة؟ إمامة الصلاة ليست أفضل ، فقط لكونها إمامة. لو كانت من مهمات المرأة- أو أكثر قداسة- اذا لماذا لم يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم خديجة أو عائشة أو فاطمة رضي الله عنهن جميعا- وهن أعظم النساء على مر الزمان- أن يأممن؟هؤلاء النسوة وعدن بالجنة.

لكن الآن ولأول مرة منذ ١٤٠٠ سنة، ننظر الر رجل يؤم الصلاة ونظن بأن "ذلك ليس عدلا".

من ناحية أخرى، نجد أن المرأة فقط- يمكن أن تكون أما وأن الله أعطى ميزة خاصة للأم.أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجنة تحت أقدام الأمهات. وعندما سئل من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: " أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك" هل هذا شيء عنصري؟ بغض النظر عما يفعله الرجل ، فانه لا يستطيع أبدا الوصول إلى مكانة المرأة. ومع ذلك حتى عندما كرمنا الله بشيء أنثوي فريد، نبقى مشغولين جدا بمحاولتنا لإيجاد قيمتنا بالرجوع للرجل، إلى درجة تمنعنا من تقدير ذلك الشيء أو حتى ملاحظته. نحن أيضا قبلنا بالرجال معيارا.

المرأة المسلمة لا تحتاج أن تحط من نفسها، بهذه الطريقة، فالمعيار عندها هو الله، وهو الذي يعطيها القيمة وهي ليست بحاجة رجل ليقومها.

في الحقيقة إننا وفي اندفاعنا لمحاكاة الرجل لم نكلف أنفسنا التوقف للنظر إذا ما كان ما لدينا هو الأفضل لنا. قبل خمسين عاما، أخبرنا المجتمع أن الرجال هم

الأفضل لأنهم تركوا المنزل واتجهوا للعمل في المصانع. كنا أمهات ومع ذلك أخبرنا أن تحرير المرأة يكمن في التخلي عن تربية إنسان آخر لأجل العمل على ماكينة.تقبلنا الفكرة وبعدها، وبعد مزاولة العمل، يتوقع منا أن نحوي طاقة فوق طاقة البشر، وأن نكون الأم المثالية والزوجة المثالية وربة البيت المثالية، ونحصل على المهنة المثالية. مع أن ليس من الخطأ أن تكون للمرأة مهنة، سندرك عاجلا ما ضحينا به بتقليدنا الأعمى للرجال. سنشاهد أطفالنا وهم يصبحون غرباء عنا، حينها سندرك الامتياز الذي تنازلنا عنه.

ولهذا والآن فقط- عندما أعطوا حرية الاختيار- اختار نساء في الغرب البقاء في البيت لرعاية أولادهن.وجد استطلاع رأي أجرته صحيفة مهتمة بشؤون الأسرة في سنة ٢٠٠٠ أن ٩٣٪ منهن يفضلن البقاء في البيت مع أطفالهن، ولكنهن مجبرات على العمل بسبب " التزامات مالية" هذه " الالتزامات" فرضت من خلال المساواة بين الجنسين في الغرب المتحضر، بينما رفعت عن النساء المسلمات بسبب التمايز بين الجنسين في الإسلام، احتاجت النساء في الغرب حوالي قرن من التجاوب ليدركن ميزة منحت للنساء المسلمات منذ ١٢٠٠عام.

بالنظر إلى مزاياي التي منحت لي لكوني امرأة، سأحط من قدري إذا حاولت أن أكون الشيء الذي لست عليه- و بكل صدق-لا أريد أن أكونه: رجلا. لن نصل إلى الحرية الحقيقية إلا إذا توقفنا عن محاكاة الرجال، وقدرنا الجمال في الاختلاف الذي منحنا اللّه إياه.

إذا خيرت بين عدالة العقلانية الرواقية والشفقة، فسأختار الشفقة. وذا خيرت بين أن أقود العالم أو أن تكون الجنة تحت قدمي ، سأختار الجنة.

الرجولة ومظهر القسوة

الأسبوع الماضي اتصلت بي أختي، وكانت تدرس في الخارج، وبعد أن سألتها عن أحوالها ، سألتها عن مسكنها الجديد.لكونها تعيش في بلد مسلم، كنت أشعر بالاطمئنان بأن كل شيء على ما يرام. ما وصفته كان صادما تماما. بدأت بوصف مكان يصعب فيه على الفتاة أن تخرج من بيتها دون أن تتعرض لتحرش لفظي من الرجال، قالت إن التحرش لم يعد استثناء، بل أصبح أمرا مألوفا. بعدها أخبرتني عن فتاة مسلمة كانت تعرفها، كانت تستقل سيارة أجرة ، وعندما وصلت إلى محطتها دفعت الأجرة للسائق.و في الكثير من البلدان لا يوجد عداد للمسافة وبما أن الأجرة متفاوتة لحد ما فان ما أعطته للسائق أثار غضبه. فاحتدم الشجار الى درجة أن السائق أمسك بها من كتفها و بدأ يهزها بعنف، عندها غضبت الفتاة وأهانت السائق. فلكمها السائق على وجهها.ففي مكان قريب من موقع الحادثة، كان هناك مجموعة من الرجال شهدوا ما حصل و أسرعوا إلى المكان. بطبيعة الحال سنظن أنهم جاءوا لمساعدة الفتاة. لا، لقد وقفوا يراقبون فقط!

عند هذه النقطة بدأت التساؤل.كيف لمجموعة من الرجال أن يقفوا وينظرون إلى امرأة تمتهن أمامهم، و لا يفعلون شيئا من أجلها.جعلتني أشك في المبادئ التي تحدد معنى الرجولة في مجتمعنا اليوم.هل صورة الفارس بدرعه المتألقة استبدل بها صور أولاد مستهترين يذرعون الشوارع؟

جعلتني هذه القصة أفكر فيما يعنيه إن تكون رجلا مسلما اليوم. فما كان مني إلا النظر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

من أكثر تعريفات الرجولة شيوعا اليوم هي قلة التعبير عن المشاعر. فما يعتقده الكثيرون هو أن البكاء ليس من سجايا الرجال، بل دليل ضعف. اليوم لا يتوقع

من الرجل أن يخفي مشاعر الحزن فحسب. بل لقن مبكرا بأن أي مشاعر أخرى يجب أن لا تظهر أبدا. حتى في زمن النبي كان بعض الرجال يفكرون بهذه الطريقة؛ في إحدى المرات حضر قروي مجلسا للرسول عليه السلام وفيه رآه يقبل أحفاده على رؤوسهم ، عندها أظهر القروي دهشته قائلا:" إن لي عشر من الولد ما قبلت واحدا منهم" فقال رسول اللّه" انه من لا يرحم لا يرحم" كان الرسول صلى اللّه عليه وسلم واضحا في إظهار مودته وكان يبدي مودته تجاه زوجاته كما كان يساعد زوجاته في أعمال البيت، عكس أسطورة أخرى من الأساطير المصدقة عن الرجولة.

ربما إحدى الأساطير الأكثر تداولا هي فكرة أن الرجل يجب أن يكون قاسيا. فاللطف يعد صفة أنثوية. ومع ذلك يقول النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم" من يحرم الرفق يحرم الخير كله" (صحيح مسلم).

الكثير من هذا اللطف فقد من التعريف المختصر للذكورة، انه من المرعب حقا أن يعتقد شاب أن تحرشه بامرأة رجولة ، ومشاهدته لامرأة تضرب أمرا لا يخدش رجولته. هذا يجعلك تتساءل إذا كانت الصورة التي رسمناها في مخيلتنا عما هو رجولي يشبه في حقيقة الأمر صورة أحد رجال العصابات في أفلام هوليود أكثر من شبهه بشخصية رسولنا المهدي صلى اللّه عليه وسلم.

الأمة

ألق عنك المسميات

أي نوع من المسلمين أنت؟ قد يبدو سؤال غريبا بعض الشيء، لكن الجواب بالنسبة للذين يسعون لتمزيق الإسلام وهزيمته ذو أهمية متزايدة.

في عوائلنا عندما يخطئ أحد أفراد الأسرة – حتى لو كان خطأ كبيرا، أو اتخذ رأيا لا نتفق فيه معه- لن يكون هناك أي منا من يقرر الانفصال كليا عن هذه العائلة وتغير اسمه. اليوم للأسف ، لا ينطبق هذا المفهوم على أسرة الإسلام.

اليوم ، نحن لم نعد " مسلمين" فقط نحن " تقدميون" و " إسلاميون" و " محافظون" و " سلفيون" و " محليون"و " مغتربون" وكل مجموعة قامت بالانسلاخ كليا عن الأخرى. لدرجة أننا نسينا أننا نشترك في عقيدة واحدة.

الاختلافات لا تعتبر مستساغة فقط، بل تتعداها إلى مرحلة الحث بوصفها رحمة من الله.لكن حالما نعنون ونهمش كل من لا نتفق معه يبدأ سقوطنا . عندما نقبل المسميات ونرسخها ونجعلها مصدر لتحديد الهوية، ستكون النتيجة كارثية.

وسرعان ما يقتصر كلامنا على من يوافقنا الرأي. فالحوار الداخلي ضمن الأمة يختفي، واختلافنا يصبح أكثر وضوح و آراؤنا تصبح أكثر تطرفا. وسرعان ما نتوقف عن الاهتمام بما يحدث للجماعة" الأخرى"من المسلمين حول العالم، وكأنما بفعلنا هذا نبتر الأطراف من الجسد الواحد الذي أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أننا هو.

فجأة، هذه الاختلافات كانت يوما ما رحمة – تصبح لعنة وسلاحا لدحر الإسلام. أعداؤنا يتداعون علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

في ١٨ مارس ٢٠٠٤ نشر مركز " راند" والذي يعد واحد من مراكز التفكير المؤثرة في الولايات المتحدة الأمريكية – تقريرا يهدف إلى المساعدة على " تمدين" الإسلام من خلال طمسه وإعادة تركيبه بشكل العلمانية الغربية. كتبت " شيرل بنارد" مفاده أن " الحداثة"، لا التقليدية هي التي أثمرت في الغرب.

تقترح " بنارد" إستراتيجية بسيطة: التسمية والتقسيم والتحكم. بعد تسمية كل مجموعة من المسلمين تقترح جعل بعضهم في مواجهة بعض. وضمن

استراتيجيات أخرى، تقترح" تشجيع الخلافات بين المتمسكين بالتقاليد و المتطرفين، وإحباط الائتلاف بين المتمسكين بالتقاليد والمتطرفين.

تأمل أن تبتدع إسلاما مدنيا " ديمقراطيا" أقل رجعية وتطرفا. وعلى وجه الخصوص ، إسلاما يخضع لهيمنة أجندة المحافظين الجدد.

فإذا كانت الخطوة الأولى لتشويه الإسلام هي باستغلال المسميات الموجودة ، فلنقل لا و شكرا يخبرنا اللّه(واعتصموا بحبل اللّه جميعا و لا تفرقوا) (آل عمران:١٠٣) أنت تقوم بإصلاح شيء ما عندما يكون فاسدا أو قديما ، ولا تقوم بتصليح شيء ما إلا إذا كان مكسورا.

الإسلام في مجمله هو دين الاعتدال، وكلما ازداد تمسكنا بقواعده ، ازداد اعتدالنا، والإسلام بطبيعته أبدي وعالمي، وبالتالي إذا كنا مسلمين حقا، فسنبقى دائما متحضرين.

نحن لسنا(تقدميين) ولسنا(محافظين) ولسنا(سلفيين جددا) و لسنا(إسلاميين) ولسنا(تقليدين) ولسنا(وهابيين) ولسنا(مغتربين) ولسنا(محليين) شكرا، ولكننا سنواصل حياتنا دون مسمياتكم . نحن فقط مسلمون.

كن مسلما باعتدال

في أول مناظرة رئاسية للسيناتور جون كيري عام ٢٠٠٤ بدأ المناظرة بالإجابة عن السؤال الأول الموجه إليه. لدي خطة أفضل لخوض الحرب على الإرهابيين من خلال

النبذة بعزل المسلمين الإسلاميين الراديكاليين؛ وعدم السماح لهم بعزل الولايات المتحدة الأمريكية.

فهل هذا كان تكرار من جون فحسب؟ أم تصريحه معبرا عن معنى آخر بشكل لم يتصوره هو نفسه؟ هل كل المسلمين إسلاميون؟ الحقيقة لا. على الأقل ليس الجيدون منهم.

أكثر فكثر، النظرية الفرضية الضمنية تظهر الإسلام على أنه مشكلة،فذا كان الإسلام كمعتقد بجوهره راديكاليا، فكلما أصبح أثل راديكالية كان أفضل. ومن ثم فان " المسلم المعتدل"هذا المصطلح المرغوب فيه كثيرا-هو فقط مسلم بصورة معتدلة، وكذلك سيء بصورة معتدلة.قول كهذا أشبه بالقول لأحدهم أن يكون أسد بصورة معتدلة لا يكون شرسا للغاية. وفي المقابل فان المسلم شديد الإسلامية هو بتعريفه(راديكالي)- ويجب التعامل معه عن طريق عزله.

في الحقيقة أدركت مونا ميفيلدا هذه القوانين عندما دافعت عن زوجها، الذي اتهم خطأ بالمشاركة في تفجيرات أسبانيا، حيث صرحت لوكالة أسوشيتد برس الإخبارية عن اعتناق زوجها الإسلام قائلة" لدينا إنجيل في بيتنا. هو ليس أصوليا، كان يعتقد أن الإسلام شيء فريد ومختلف جدا.

لإثبات براءته حاولت أن تقلل من أهمية التزام زوجها حتى شعرت بحاجة لتبرير اعتناقه الإسلام،وكأن مجرد اعتناقه الإسلام هو الجريمة المتهم بها.وأخذ مدير المسجد الذي كان يرتاده المتهم طريقة مماثلة للدفاع عنه" كان معتدلا" لم يكن يصلي الصلوات الخمس في المسجد كما يفعل بعض المسلمين الملتزمين.

تلك الأيقونات " الأقل تدينا"- لما يجب أن يكون عليها المسلم المثالي_ موجودة في الساحة الإعلامية. على سبيل المثال إرشاد مانجي المحللة الإعلامية وكاتبة الكتاب" المشكلة في الإسلام" عرفت نفسها بأنها " مسلمة رافضية"قالت إنها بدأت الصلاة بمفردها وتوجهت إلى مكة. في النهاية ، توقفت عن هذا أيضا لأنها لم تكن ترغب

في السقوط في الخضوع الأحمق والطاعة العمياء"لمانجي الحق أن تدلي برأيها و الحق أن تترك أيا من هذه العبادات أو كلها، لكن بدلا من أن تكون امرأة عديمة القيمة قررت ترك الصلاة التي هي ركن رئيسي في عقيدتها-مادامت عقيدتها الإسلام- كل هذا يصور على أنه صراع من أجل الحرية، ويصبح محل تبجيل، وتوصف بأنها" شجاعة وجريئة" ونموذج للمسلمين غير الإسلاميين الذي يستق الإتباع.

نعم الحرية شيء جيد. قد تكون مانحي قالتها بطريقة أفضل، لكن أستاذ إدارة الأعمال في جامعة امبريال فالي كاليفورنيا قالها بطريقة أكثر صراحة:" الطريقة الوحيدة لإنهاء الإرهاب الإسلامي هو القضاء على الدين الإسلامي". الشيء الوحيد المؤكد في هذه الأيام بالنسبة للمسلمين؛ الأقل هو الأفضل.

المأساة التي يصعب وصفها وحال أمتنا

أظن أن هناك مكان في عقل الإنسان نختبئ فيه عندما لا نجد مكانا آخر للفرار. و ربما يوجد مكان في قلب الإنسان يستذكر فيه دائما المأساة التي لا يمكن تصورها.ولكن بالنسبة للأناس في سوريا وفلسطين ،هذه المأساة هي الواقع الوحيد الذي يعرفونه.

و أنا واقفة عاجزة أراقب المذابح أرجع الى سؤال يتكرر بلا هوادة: لماذا نحن عاجزون عن إيقاف ذلك؟لماذا نحن ضعفاء سياسيا في الدولة التي نستوطنها؟ يجب أن نتوقف ونتفحص جيدا أين نحن كأمة؟ و ماذا أصبحنا؟مر وقت من الزمان الذي كان فيه المسلمون أعزة في العالم ، اليوم أصبحنا أكثر الجماعات استهدافا و ذما وكرها في العالم. لسنا مكروهين فحسب، بل وفي الكثير من الأماكن نعذب ونقتل وننهب، تنتزع منا حقوقنا ونتهم ونسجن زورا.الكره للمسلمين أصبح عميقا جدا، بحيث أصبحت الخطابات المعادية للمسلمين مقبولة جدا بحيث يستخدمها من يريد النجاح سياسيا.

هذه الحالة التي نجد أنفسنا فيها بوصفنا أمة مسلمة، قد تم وصفها منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة عندما قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم لصحابته" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها" فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ قال" بل أنتم يومئذ كثر ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن اللّه من صدور عدوكم المهانة منكم وليقذفن اللّه في قلوبكم الوهن" فقال قائل: يا رسول اللّه وما الوهن؟ قال" حب الدنيا وكراهية الموت" (سنن أبي داوود).

في هذا الحديث يصفنا الرسول صلى اللّه عليه وسلم بأننا سنكون مثل زبد البحر.إذا راقبت الأمواج المنسابة في المحيط، فستشاهد أن الطبقة الرقيقة من الزبد على وجه الماء عديمة الوزن وقليلة القيمة. يمكن لأقل نسمة أن تدمرها.هذه هي حالنا. يعطينا الرسول صلى اللّه عليه وسلم إجابة واضحة للسؤال وضح أن

القلوب سيملؤها الوهن عندما سئل عن معنى هذه الكلمة قال: إن الوهن حب الدنيا وكراهية الموت.

في مجال الأخلاق تتغير حال الناس يقول اللّه تعالى(إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد:١١).بناء على ذلك يمكن أن يتغير حال الناس بسبب أخلاقهم من قوة عظمى إلى زبد المحيط.

كمسلمين لا ينبغي لنا أن نفقد الأمل فقد وعد اللّه بالنصر قال تعالى(و لا تهنوا ولا تحزنوا و أنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) (آل عمران:١٣٩).

انه فقط بإيماننا الخالص وكفاحنا، سيغير اللّه حالنا. فللأجل أولئك الذين ينزفون في سوريا فلسطين وكل أنحاء العالم اليوم. نحن كأمة يجب أن نستيقظ و نرجع إلى اللّه).

انشقاق البحر الأحمر

عندما وقف النبي موسى عليه السلام أمام البحر، اقترب طاغية وجيشه وراءه. بعض الذين كانوا مع موسى بدءوا بالانقسام. لم يروا سوى الهزيمة ماثلة أمامهم. لكن كان موسى عليه السلام أعين مختلفة. عيناه كانتا روحانيتين، نظرتا إلى ما وراء وهم المعاناة والهزيمة. لم ير موسى إلا الله (قال إن معي ربي سيهدين) (الشعراء:٦٢) وحقا فعل الله ذلك تماما(فأوحينا إلى موسى أن ضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، و أزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين، ثم أغرقنا الآخرين) (الشعراء: ٦٣-٦٦). قد يسأل أحدهم لماذا نروي قصة قديمة. السبب إنها علامة على حقيقة الله و أسار ذلك العالم، علامة على أن الطغيان لا ينتصر أبدا وأن العقبات هي وهم خلقت لاختبارنا وتمحيصنا. وعلاوة على ذلك تلك القصة رؤية لماهية النجاح وصورته الحقيقية في الوقت الذي نظن فيه أننا محصورون ومهزومون وضعفاء.

قد يسأل البعض: لماذا إذا كنا مع الله حقا لا يتحقق النصر بسهولة؟لماذا لا يعطى الصالحين النصر بدون مشقة كبيرة وتضحيات؟ الإجابة قال تعالى(وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبؤساء والضراء لعلهم يتضرعون) (الأعرف:٩٤). يقول الله تعالى الهدف من الشدائد هو الوصول إلى درجة التضرع. وهو تواضع لله.

يذكر الله هدفا آخر لتلك الصعوبات والشدائد (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) (آل عمران:١٤٠-١٤١). هنا يذكر الله الهدف من المصاعب هو التمحيص، ينقي الله المؤمنين تماما مثلما ينقى الذهب بالنار.

بغض النظر عما إذا كنا اليوم في مصر أو خارجها. مصر هي طرف واحد من جسدنا. تنقية مصر هي تنقية لكل أمتنا كجسد. فرصة لنسأل أنفسنا عما نتعلق به. مالذي يخيفنا؟ مالذي نكافح من أجله؟ مالذي نصمد لأجله؟ و أين نحن ذاهبون؟

كنا مستعدين لتصديق أن عدونا هو خارج أنفسنا ، وهو المتحكم فينا، وهذا وهم. العدو بداخلنا. كل أعدائنا الخارجين هم مجرد تجسيد لأمراضنا . لذلك إن أردنا قهر الأعداء يجب علينا أن نقهر العدو الذي بداخلنا.نقهر الطمع والأنانية و الشرك ومخاوفنا القصوى، والحب والأمل والاعتماد على أي شيء غير اللّه . يجب أن نقهر حب الدنيا الذي هو أصل كل عللنا و أمراضنا.
عندما تكون نفسك حرة فلن تسمح لأي أحد أن ينزع منك حريتك. وعندما تمتلك الحرية الداخلية تستطيع أن تنظر إلى ما وراء الصعاب، تصبح غير قابل للاستعباد. فعندما نكافح ، فإننا نكافح لتحرير أنفسنا.

إذا راقبنا ما يجري في مصر اليوم ، وكأنه مشهد يحصل خارج أنفسنا دون ومن دون أن نحاول تطهير وفحص وتغير أنفسنا وحياتنا حقا، نكون قد أضعنا الهدف وراءه. وفي المحصلة ، لن يكون هناك بحر يشق أمام أعيننا في كل يوم!

شعر

رسالة لك

يصعب وصف الحرية. فما أعمقها وما أصدقها بالنظر عبر الفوضى والصناديق الفارغة و الصور الجوفاء! رأيتك يا دنيا تضعين حجاب فوق حجاب على عيني تحاولين امتلاكي وخداعي واستعبادي بأكاذيبك.

ما أراه الآن هو ومضة من وضوح، لا يمكن إلا لطعنات خيبة الأمل الأبدية أن تنحتها. أجلس هنا محاطة بأتباعك؛ جيشك الكاذب الذي بعث ليبقيني مكبلة بالقيود، ولكني لن أصبح أسيرتك بعد الآن. لن تكسريني. لن أنحني لبريقك ووعودك الكاذبة . لم أعد من أتباعك المخلصين، واقفة أمام عرشك المزيف. دموعي لم تعد ملكك. قلبي لم يعد ملاذك.

لن تستطيعي العيش هنا بعد الآن.

سافرت كثيرا لأصل إلى هنا. أحيانا كانت هناك صحاري حيث كل ما احتجته منك قطرة ماء، ولم تستطيعي منحي إياها. و أحيانا كانت هناك عواصف، حيث كل ما احتجته منك ومضة نور تهدي طريقي. و سألتك المرة تلو الأخرى لتعطيني شيئا لا يمكنك منحي إياه، فكل ما لديك هو بهرجة و تفاخر و عملة مزيفة. ومن ثم وجدت نفسي مرة تلو الأخرى وسط صحاري بلا ماء، وظلمات بلا نور. ولكني لم أعد أمتك، بعد أن جاء رجل ليحررني من هذا. قدم ليحررني من عبوديتي هذه للعبد، و يأخذ بيدي إلى عبودية رب العباد.

أنا أحزن

رفعت رأسي
مرة أخرى
فقط لأرى
أن الشمس قد غربت،
والأشجار قد نامت
والكل قد عاد الى مسكنه.

(اقتباس من ص١٤٤)

****

خواطري فقط

حزن غريب، هناك اليوم أسى، انه النوع الذي يأتي من درجة معينة من الإدراك، بل حتى الرضا.

نظرت إلى هذه الصورة اليوم، وفي كل مرة أنظر فيها، أجد الدموع تملأ عيني.

إنها صورة غروب مذهل من الساحل. وفوقها الآية(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) (آل عمران:١٩١).

كل هذا الحزن والحوادث والابتسامات والأمان والحب و الفقدان والتضحية ليس عبثا، ليس بلا هدف، ليس خطأ أو نوع من أنواع السهو او مسار أحداث تلقائية.

نظرت إلى تلك الصور . وفجأة ملأني شعور عميق بحنين إلى زمن، لا أثر له من ذا كرتي(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم دريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) (الأعراف: ١٧٢).

غلب علي شعور بافتقاده . أفتقد وجودي معه . أفتقد وقتا كان أو سيكون. وقتا مؤكدا جدا و كأنه حدث أصلا ؛ لهذا حينما يخبرنا اللّه عن الآخرة يستخدم صيغة الماضي.

عندما تقع في حب عمل فني ستموت شوقا لكي تلقى الفنان. أنا تلميذة في معارض غروب شمس المحيط الهادي، وطلوع البدور على المحيط ، ورؤية الغيوم من الطائرة ، وغابات الخريف ، وسقوط الثلج. سأموت شوقا للقاء المبدع.

تأمل عن الحب

كل هذا الحب. كل قسم.كل جزء من كل حب في هذا العالم. الحب الذي به يكتبون الأشعار. حب الروايات الساحرة . الحب الذي يتغنون به. الحب الذي حاولوا أن يصوروه في الأفلام. حب الأم لابنها، وطفلة لأبيها، الحب الذي تلاحقه. الحب الذي تدرك أنك قد تموت من أجله.

كلها مجرد انعكاس.

صدى لمصدر واحد. لحب واحد تعرفه أنت، وأعرفه أنا، لأننا عرفناه من قبل أن نتمكن من المعرفة. أحببنا من قبل أن نتمكن من الحب. أعطيت قبل أن تتمكن من العطاء، أو تعلم ما تعطي، انه الحب الذي خلق قلبك ليدركه، انه الحب الذي يخلق ويدعم كل حب. انه الحب الذي كان في السابق، وسيبقى بعد ما يفنى كل شيء.

دعوت اليوم من أجل السلام

وجدت نفسي اليوم، أدعوك من أجل السلام
غصت في فكري وخرجت منه آلاف المرات
أعلم أنك تسمعني
أعلم أنني لم أكن وحيدة في تلك الغرفة
أرتجف من فرط الخوف من الخوف
الوحدة المفجعة
دعوتك جاثية على يدي، وعلى ركبتي.

(اقتباس من ص١٤٨).

****

عن معاناة الحياة

ذكرتك اليوم
ذكرتك وتذكرت تلك الكلمات التي أخبرتني بها
أخبرتني بطريقة امتازت بالكمال
هدأت ضربات قلبي
وأرجعت لي أنفاسي
أخبرتني بتلك الكلمات التي مازلت أحملها

كلمات ترفعني ، تملؤني، وتمحو الإنهاك

(اقتباس من ص١٥٠)

****

السكون

ما أجمل الشمس الصباح الباكر! هي تصنع شيئا للأشجار لا تراه في أي وقت آخر من أوقات النهار. أظن أننا جميعا نريد الشيء نفسه: مكانا هادئا، نغمض فيه أعيينا ونكون فيه على ما يرام.
ولو لمجرد ثانية واحدة، ألا نشعر بالقلق على شيء، أو نحزن على أمر ما، و لا نتمنى شيئا لا نملكه. أو لا نستطيع امتلاكه. فقط أن نكون هناك، ساكنين، هادئين في داخلنا. ربما هذا هو سر جمال ذلك الوقت من النهار: السكون.
و الأمل أن يكون هذا اليوم مختلفا.

موتوا قبل أن تموتوا

أخبرني بأنني قادرة على الضياع
أخبرني بأنني قادرة على فقدان نفسي في وجودك
في لحظة الخضوع الحقيقية الجارفة.
(اقتباس من ص ١٥٢)
****

أنقذني

لا أملك شيء سوى كرمك ليكون غاية أملي.لأني أقف ببابك حاملة شظايا حطام.. ومع ذلك تفتح لي.أنقذني من هذه العاصفة، فأنا الأضعف من بين جميع عبيدك، و أنا ضائعة، أبحث في وسط الغابة لأجد طريقي. و لكن الأشجار جميعها تبدو متشابهة، و كل طريق يعيدني إلى البداية. لا يستطيع أحد العثور على طريق الخروج من الغابة ، إلا من هديت، أنقذني، إنني حقا أضعف من أن أنقذ نفسي.

قلبي كتاب مفتوح

قلبي كتاب مفتوح
تمزق منفتحا بقصتي

أخبرهم بأنك تعلمت الدرس

وستتعلمه في كل مرة

تطلب الكمال فيما لا كمال له

(اقتباس من ص١٥٤)

****

الطعنة

لا تحزن للطعنة

فالطعنة جاءت لتطلق سراحك

من هذه السلاسل التي تقيدك الى الأرض

وتشدك الى ظلال البشر

(اقتباس من ص١٥٥)

****

مشكاة

عظامي تريد أن تذوب

عضلاتي تريد الاستسلام

جسدي يريد التوقف

أمشي

أصارع

أقاتل

من أجل الهواء

من أجل الحياة

(اقتباس من ص ١٥٦)

****

واصل السير

في كل يوم يقترب لقاؤنا.

أشعر كما لو كنت أسير في هذا الدرب لألف سنة

متوجهة إليك...

ولكني مازلت بعيدة.

قريبة جدا، ولكني ما زلت بعيدة جدا

ولكني أواصل السير

رغم الدموع

رغم الريح

(اقتباس من ص ١٥٨)

****

يحيا أغلب الناس حياة مفخخة بنفس المظاهر المتكررة من الحسرة وخيبة الأمل .ولا ندرك أسباب ذلك في أغلب الأحيان . (استرجع قلبك) يتناول تحرير القلب من هذة العبودية . فهو يتناول رحلة داخل هذة الأفخا خ الخادعة وكيفية النجاة منها. يهدف الكتاب الى إيقاظ القلوب وتقديم منظور جديد للحب والسعادة والفقدان والخسارة والألمِ. ولم يقتصر (استرجع قلبك) على كونه دليلاً يوجه القارئ نحو التنعم بحياة يملك فيها الدنيا ولا يملكه .بل يمتد لكونه دليلاً إلى كيفية حماية أثمن ما يملكه وهو القلب

المصممة : نجيلة ادم

RAWAFED_K@ RAWAFED-K@

رابط الموقع WWW.RAWAFEDKNOWEDE.ORG:

RAWAFED.KNOWLEDGE1@GMAIL.COM